قطف الجنى الداني

شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

تأليف

عبد المحسن بن حَمَد العبَّاد البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـدُ للـه ربِّ العـالمين، الرَّحمـن الرَّحيـم، مالكِ يوم الدِّين، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له، إلهُ الأوّلِين والآخِرِين، وقيُّومُ السَّموات والأرَضِين، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، سيِّدُ المرسلِين، وإمامُ المتّقين، وقائدُ الغُرِّ المحجَّلين، المبعوث رحمةً للعالمين، صلّى اللهُ وسلّم وبارك عليـه، وعلـى آلـه الطيّـبين الطّـاهرين، وأصـحابِه الغُرِّ الميامين، الذين حفظ اللهُ بهم المِلَّةَ، وأظهر الـدّين، وعلـى مَـن اتَّبعهـم بإحسـانٍ وسـار علـى نهجهم إلى يوم الدّين.

أمَّا بعد، فإنَّ عقيدةَ أهل السنَّة والجماعة تمتازُ بالصّفاءِ والوضوحِ والخلوِّ مِن الغموض والتعقيـد، وهي مستمدَّةٌ مِن نصـوصِ الـوحي كتابـاً وسـنَّةً، وكان عليهـا سـلفُ الأمّـة، وهـي عقيـدةٌ مطابقـةٌ للفطـرة، ويقْبَلُهـا العقـلُ السـليمُ الخـالي مِـن أمراضِ الشُّبهات، وذلـك بخلاف العقائـد الأخـرى المتلقَّـاةِ مِـن آراء الرِّجـال وأقـوالِ المتكلِّميـن،

ففيها الغموضُ والتعقيدُ والخبطُ والخلـط، وكيـف لا يكون الفرقُ كبيراً والبَونُ شاسـعاً بيـن عقيـدةٍ نزل بها جبريلُ مِـن اللـه إلـى رسـولِه الكريـم ﷺ وبيــن عقائــد متنوِّعــة مختلفــة خــرج أصــحابُها المبتدعون لها مِن الأرض، وخلقهم اللهُ مــن مــاءٍ مهينٍ.

فعقيدةُ أهل السنَّة والجماعة بَدَتْ وظهرتْ مع بعثة النَّبِيِّ ﷺ ونزولِ الوحي عليه مِن ربِّه تعــالى، وسار عليهـا الرسـول ﷺ وأصـحابُه الكـرام ومَـن تبعهم بإحسان، والعقائدُ الأخرى لا وجود لهـا فـي زمن النبوَّة، ولم يكن عليها الصحابةُ الكـرام، بـل قد وُلد بعضُها في زمانهم، وبعضُـها بعـد انقـراض عصرهم، وهي مِن محدثاتِ الأمور التي حذّر منها الرســـــــــولُ ﷺ، فقـــــــــال: « وإيّاكم ومحدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدَثةٍ بدعــة، وكــلَّ بدعــةٍ ضــلالة »، وليــس مِــن المعقــول ولا المقبـول أن يُحجـب حـقٌّ عـن الصـحابة الكـرام رضي الله عنهم وأرضاهم، ويُدَّخَر لأُناسٍ يجيئـون بعد أزمانهم، فتلـك العقائـد لـو كـان شـيءٌ منهـا خيراً لسبق إليـه الصـحابةُ، ولكنَّهـا شـرٌّ حفِظهـم اللهُ منه، وابتُليَ به مَن بعدَهم.

والحقيقــة الواضــحة الجليَّــة أنَّ الفــرقَ بيــن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة المتلقَّاة من الوحي، وبين عقائد المتكلِّمين المبنيَّـة علـى آراء الرجـال وعقولهم، كالفرق بين الله وخَلقه، ومثل ذلك مـا يكـون بـه القضـاء والحكـم، فـإنَّه يُقـال فيـه: إنَّ الفرقَ بين الشـريعة الإسـلامية الرفيعـة المنَزَّلـة من الله على رسوله ﷺ، وبين القوانين الوضــعيَّة الوضيعة الـتي أحـدثها البشـر، كـالفرق بيـن اللـه وخَلقـــــــه، [illegible]، فمـــا بـــال عقول كثير من النـاس تغفـلُ عـن هـذه الحقيقـة الواضحة الجليَّة فيما يُعتقـد، والحقيقـة الواضـحة الجليَّة فيما يُحكم به، فيستبدلون الـذي هـو أدنـى بالذي هو خير؟!

اللهـمَّ اهْـد مَـن ضـلَّ مـن المسـلمين سُـبُلَ السلام، وأخرجه مـن الظلمـات إلـى النـور، إنَّـك سميعٌ مجيب.

وقد ألَّف علماءُ السنَّة قديماً وحـديثاً مؤلَّفـاتٍ تُوَضِّح عقيدةَ أهل السنَّة والجماعة، منهـا مـا هـو مختصَرٌ، ومنها ما هو مطوَّلٌ، وكان مِن بيـن هـذه المختصرات مقدِّمةُ الإمام ابنِ أبي زيد القيرواني

المالكي لرسالته، ومقدِّمةُ رسالته على طريقة السلف مختصَرةٌ مفيدة، والجمعُ بين الأصول والفروع في كتاب واحد نادرٌ في فعل المؤلِّفين، وهو حَسَن، يجعل المشتغلَ في فقه العبادات والمعاملات على علمٍ بالفقه الأكبر، الذي هو العقيدةُ على طريقة السلف.

وهي مع وَجازَتها وقلَّة ألفاظها تبيِّن بوضوحٍ العقيدةَ السليمة المطابقة للفطرة، المَبنيّة على نصوص الكتاب والسنّة، وهي شاهدٌ واضحٌ للمَقولة المشهورة: إنَّ كلامَ السّلف قليلٌ كثيرُ البركة، وكلام المتكلِّمين كثيرٌ قليلُ البركة.

ومِن أمثلة ما في هذه المقدِّمة مِن النَّفي المتضمِّن إثباتَ كمالٍ لله تعالى قولُه في مطلع هذه المقدِّمة: « إنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شبيهَ له، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ له، ولا صاحبةَ له، ولا شريكَ له ».

فإنَّ هذه المنفيّات عن الله عزَّ وجلَّ مستمَدَّةٌ مِن الكتاب والسنّة، وهذا بخلاف النّفي في كلام المتكلِّمين، فإنَّه مبنيٌّ على التّكلُّف، ومتّصفٌ بالغموض، ومِن أمثلة ذلك ما جاء في العقائد النسفيّة قول مؤلِّفها: « ليس بعَرض، ولا جسم،

ولا جوهر، ولا مصوّر، ولا محـدود، ولا معـدود، ولا متبعّض، ولا متجَزّ، ولا متركّب، ولا متناه ».

وهذه المنفيّات لَم يأت بالنَّصِّ عليهـا كتـابٌ ولا سنّة، والواجبُ السّكوتُ والإمساكُ عمَّا لـم يـدلَّ عليه دليلٌ مِ ن الـوحي، واعتقـاد أنَّ اللـهَ متَّصِ ف بكـلِّ كمـالٍ، منَـزَّهٌ عـن كـلِّ نقـصٍ، ومثـلُ هـذه السـلوب لا يفهمهـا العـوامُّ، ولا تطـابق الفطـرةَ التي هم عليها، وهي مِن تكلُّف المتكلِّمين، وفيهـا غموضٌ وتلبيسٌ؛ يتّضح ذلك بالإشـارة إلـى واحـدٍ منها، وهو نفيُ الجسم، فـإنَّه يحتمـل أن يُـراد بـه ذاتٌ مشابهة للمخلوقـات، وعلـى هـذا الاحتمـال يُردّ اللفظُ والمعنى جميعاً؛ لأنَّ اللـهَ ليـس كمثلـه شـيء وهـو السـميع البصـير، وإن أُريـد بـه ذاتٌ قائمـةٌ بنفسـها، مباينـةٌ للمخلوقـات، متّصـفةٌ بصفات الكمال، فإنَّ هذا المعنـى حـقٌّ، ولا يجـوز نفيُه عن الله، وإنَّما يُردّ هذا اللفظ لاشتماله على معنى حقّ ومعنى باطل.

وسـيأتي فـي كلام المقريـزي (ص: 14، 15) قـــــــولُه عـــــــــن الصـــــــــحابة:

« فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشـبيه، ونزّهـوا مِـن غير تعطيل، ولم يتعرّض مع ذلك أحـدٌ منهـم إلـى

تأويل شيء مِن هذا، ورأوا بأجمعهم إجراءَ الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحدٍ منهم ما يستدلُّ به على وحدانيَّة الله تعالى وعلى إثبات نبوَّة محمّد ﷺ سوى كتاب الله، ولا عرف أحدٌ منهم شيئاً مِن الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة ».

وسيأتي أيضاً في كلام أبي المظفّر السمعاني (ص:16) قولُه في بيان فساد طريقة المتكلِّمين: « وكان مِمَّا أمر بتبليغه التوحيد، بل هو أصلُ ما أمرَ به فلم يترك شيئاً من أمور الدِّين أصولَه وقواعدَه وشرائعَه إلاَّ بلَّغه، ثمَّ لَم يَدْعُ إلى الاستدلال بما تَمسَّكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرفٌ واحدٌ فما فوقه، فعُرف بذلك أنَّهم ذهبوا خلافَ مذهبهم وسلكوا غيرَ سبيلهم بطريق مُحدَث مُخترَع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابُه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العودُ على السلف بالطعن والقَدْح، ونسبتهم إلى قلَّة المعرفة واشتباه الطرق، فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم؛ فإنَّها سريعةُ التهافت كثيرةُ التناقض »، وقولُ أبي المظفّر السمعاني هذا أورده الحافظ ابن حجر في كتاب

فتح الباري في شرح قول البخاري: « باب قول الله تعالى:

[illegible] »، ونقل فيه (13/504) عن الحسن البصري قال: « لو كان ما يقول الجعد حقاًّ لبلّغه النَّبِيُّ ﷺ ».

والجعد بن درهم هو مؤسِّس مذهب الجهميّة، ونُسب الجهمية إلى الجهم بن صفوان؛ لأنَّه هو الذي أظهر هذا المذهب الباطل ونشره، وأقول كما قال الحسن البصري رحمه الله: لو كان ما يقوله الأشاعرة وغيرهم من المتكلِّمين حقاًّ لبلَّغه الرسول ﷺ.

وقد رأيتُ أن أشرح هذه المقدِّمة شرحاً يزيد في جلائها ووضوحها، ويُفصِّل المعاني التي اشتملت عليها، ورأيتُ أن أمهِّد لهذا الشّرح بذكر عشر فوائد في عقيدة السّلف، وقد نظَم الشيخُ أحمد بن مشرّف الأحسائي المالكي المتوفَّى سنة 1285هـ مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني نظْماً بديعاً سلِساً، رأيتُ مِن المناسب إثباته مع نصِّ المقدِّمة قبل البدء بالشّرح.

وقد سَمَّيت هذا الشرح:

قطف الجنى الداني

شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

وأسأل اللهَ عزَّ وجلَّ أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يوفِّق المسلمين للفقه في دينهم، والسَّير على ما كان عليه سلفُهم، في العقيدة والعمل، وأن يُوفِّقنِي للسلامة من الزَّلَل، ويَمنَحنِي الصِّدقَ في القول والإخلاصَ في العمل، إنَّه سميعٌ مجيب، وصلّى اللهُ وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ترجمة مختصرة لابن أبي زيد القيرواني

هو عبد الله أبو محمد بن أبي زيد، واسم أبي زيد عبد الرحمن، سكن القيروان، وكان إمامَ المالكية في وقته وقُدوتَهم، وجامعَ مذهب مالك، وشارحَ أقواله، وكان واسعَ العلم كثيرَ الحفظ والرواية، وكُتُبُه تشهدُ له بذلك، فصيحَ القلم، ذا بيان ومعرفة بما يقوله، بصيراً بالردِّ على أهل الأهواء، يقول الشِّعرَ ويُجيدُه، ويجمع إلى ذلك صلاحاً تامًّا وورعاً وعفَّةً، وحاز رئاسةَ الدِّين والدنيا، وإليه كانت الرِّحلةُ من الأقطار، ونجب أصحابُه وكَثُر الآخذون عنه.

وعرف قدرَه الأكابرُ، وكان يُعرف بمالك الصغير، قال فيه القابسي: « هو إمامٌ موثوقٌ به في ديانته وروايته »، واجتمع فيه العلمُ والورعُ والفضلُ والعقل، شُهرته تُغنِي عن ذِكره، وكان سريعَ الانقياد والرجوع إلى الحقِّ، تفقَّه بفقهاء بلده وسمع من شيوخها، وعوَّل على أبي بكر بن اللباد وأبي الفضل القيسي، وسمع منه خلقٌ كثيرٌ وتفقَّه به جلَّة، وكانت وفاته سنة (386 هـ)، له كتاب النوادر والزيادات على المدونة، مشهور أزيد من مائة

جزء، وكتاب مختصر المدونة مشهور أيضاً، وعلى كتابيه هذين المعوَّل في التفقه، وله الرسالة، وغيرها من المؤلَّفات الكثيرة المذكورة في الديباج المذهب لابن فرحون المالكي (ص:136 - 138).

وكلُّ ما مرَّ منقول باختصار من هذا الكتاب، قال فيه الذهبي في أوَّل ترجمته في سير أعلام النبلاء (17/10): « الإمام العلاَّمةُ القُدوة الفقيه، عالم أهل المغرب ».

وقال في آخرها: « وكان - رحمه الله - على طريقة السلف في الأصول، لا يدري الكلامَ ولا يتأوَّل، فنسأل الله التوفيق ».

فوائد بين يدي الشرح

الفائدة الأولى:

منهج أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة: اتِّباعُ الكتاب والسُّنةَّ على فهم السلف الصالح

عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة مبنيَّةٌ على الدليل من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] وقال: [illegible] ، وقال: [illegible]، وقال: [illegible] ، وقال: [illegible] ، وقال: [illegible] ، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible] [illegible]، وقال ﷺ في حديث العرباض بن سارية: ((... فإنَّه مَن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تَمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة)) رواه أبو داود (4607)، والترمذي (2676) وغيرهما، وهذا لفظ أبي داود، وقال الترمذي: ((حديث حسن صحيح)).

وفي صحيح البخاري (7280) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((كلُّ أمَّتِي يدخلون الجنَّة إلاَّ مَن أبى، قالوا: يا رسول الله! ومَن يأبَى؟ قال: مَن أطاعنِي دخل الجنَّة، ومَن عصانِي فقد أبَى)).

وفي صحيح مسلم (767) عن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: ((أمَّا بعد، فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ بدعة ضلالة)).

وروى البخاري في صحيحه (1597)، ومسلم في صحيحه (1270) عن عابس بن ربيعة، عن عمر ﷺ: « أنَّه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله، فقال: إنِّي لأعلمُ أنَّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ النَبِيَّ ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك ».

وروى البخاري في صحيحه (2697)، ومسلم في صحيحه (1718) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ »، وفي لفظ لمسلم: « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ ».

وما جاء في هذه الرواية أعمُّ من الأُولى؛ لأنَّها تشتمل على مَن كان مُحْدِثاً أو تابعاً لمُحْدث.

وروى الإمام أحمد (16937)، وأبو داود (4597) وغيرُهما - واللفظ لأحمد - عن معاوية ﷺ قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: « إنَّ أهلَ الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هذه الأمَّةَ ستفترق على ثلاث وسبعين ملَّة يعني الأهواء، كلُّها في النار إلاَّ واحدة، وهي الجماعة ».

وانظر تخريجه وشواهدَه في تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط وغيره على هذا الحديث في

حاشية المسند.

وروى البخاري في صحيحه (5063)، ومسلم في صحيحه (1401) عن أنس في حديث طويل، آخره: ((فمَن رغب عن سُنَّتِي فليس منِّي)).

وإنَّما كانت عقيدةُ أهل السنَّة والجماعة مبنيَّةً على الكتاب والسنَّة؛ لأنَّ ما يُعتقد هو من علم الغيب، ولا يُمكن معرفة ذلك إلاَّ بالوحي كتاباً وسنَّة.

وما جاء في الكتاب العزيز وثبت في السُنَّة فإنَّ العقلَ السليم يُوافقه ولا يُعارضه، ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كتاب واسع اسمه: درء تعارض العقل والنقل.

والمعوَّل عليه في فهم النصوص ما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ وما جاء عنهم من الفهم الصائب والعلم النافع، وقد فهموا معاني ما خوطبوا به من صفات الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الكتاب والسُّنَّة بلغتهم، مع تفويضهم علم كيفياتها إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ هو سبحانه، كما جاء عن الإمام مالك بن أنس في بيان هذا المنهج الصحيح، حيث قال عندما سُئل عن كيفية الاستواء: ((الاستواءُ معلومٌ،

والكيف مجهـول، والإيمـان بـه واجـب، والسـؤال عنه بدعة ».

وقد أوضح ما كان عليـه الصـحابةُ فـي صـفات الله عزَّ وجلَّ الشيخ أبو العبـاس أحمـد بـن علـي المقريزي المتـوفى سـنة (845 هـ) فـي كتـابه المــواعظ والاعتبــار بــذكر الخطــط والآثــار (2/356)، فقال: « ذِكْـرُ الحـال فـي عقائـد أهـل الإسلام منذ ابتداء الملَّة الإسلامية إلى أن انتشــر مذهب الأشعرية: اعلم أنَّ اللـه تعـالى لَمَّـا بعـث من العـرب نـبيَّه محمـداً ﷺ رسـولاً إلـى النـاس جميعاً وصف لهم ربَّهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسَه الكريمة في كتابه العزيز الـذي نـزل بـه على قلبه ﷺ الروحُ الأمين، وبما أوحـى إليـه ربُّـه تعالى، فلم يسـأله ﷺ أحـدٌ مـن العـرب بأسـرهم قرَويُّهم وبَدويُّهم عن معنى شيء مـن ذلـك، كمـا كانوا يسألونه ﷺ عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحجِّ وغير ذلك مِمَّا لله فيه سبحانه أمـرٌ ونهـيٌ، وكما سألوه ﷺ عن أحوال القيامة والجنَّة والنــار؛ إذ لو سأله إنسانٌ منهم عن شـيء مـن الصـفات الإلهية لنُقل كما نُقلت الأحاديث الـواردة عنـه ﷺ فــي أحكــام الحلال والحــرام، وفــي الــترغيب

والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مِمَّا تضمَّنته كتبُ الحديث، معاجمها ومسانيدها وجوامعها، ومَن أمعن النَّظر في دواوين الحديث النَّبوي ووقف على الآثار السلفية، عَلِم أنَّه لَم يَرد قطُّ من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم - على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم - أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مِمَّا وصف الربُّ سبحانه به نفسَه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيِّه محمد ﷺ، بل كلُّهم فهموا معنى ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات، نعم! ولا فرَّق أحدٌ منهم بين كونها صفةَ ذات أو صفةَ فعل، وإنَّما أثبتوا له تعالى صفات أزليَّة: من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوقاً واحداً، وهكذا أثبتوا - رضي الله عنهم - ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة: من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا - رضي الله عنهم - بلا تشبيه، ونزَّهوا من غير تعطيل، ولم يتعرَّض مع ذلك أحدٌ منهم إلى تأويل شيء من

هذا، ورأوا بأجمعهم إجـراء الصـفات كمـا وردت، ولـم يكـن عنـد أحـد منهـم مـا يسـتدلُّ بـه علـى وحدانية الله تعالى وعلـى إثبـات نبـوَّة محمـد ﷺ سوى كتاب الله، ولا عرف أحـدٌ منهـم شـيئاً مـن الطـرق الكلاميـة ولا مسـائل الفلسـفة، فمضـى عصرُ الصحابة رضي الله عنهم على هذا، إلـى أن حدث في زمنهم القـولُ بالقـدر، وأنَّ الأمـرَ أنفـة، أي: أنَّ الله تعالى لم يُقدِّر على خلقه شيئاً مِمَّا هـم عليه ... ».

وهذا الذي أوضحه المقريزي هو ما كـان عليـه أصـحابُ رسـول اللـه ﷺ قبـل ظهـور الفـرق المختلفة، وقد قال ﷺ فـي حـديث العربـاض بـن سارية الذي مـرَّ ذكـرُه قريبـاً: « فـإنَّه مَـن يعـش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديِّين الراشـدين، تمسَّـكوا بهـا وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحـدثات الأمـور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ».

وليس من المعقـول أن يُقـال فـي شـيء مـن مذاهب هذه الفرق المختلفـة فـي العقيـدة الـتي حدثت في أواخر عهد الصحابة وبعـده، كالقدريـة والمرجئة والأشاعرة وغيرها، ليس من المعقـول

أن يُقال في شيء من ذلك: إنَّه الحقُّ والصـواب، بـل الحـقّ الـذي لا شـكَّ فيـه هـو مـا كـان عليـه أصحابُ رسول الله ﷺ، ولو كان شـيء مـن هـذه المـذاهب حقًّـا لسـبقوا إليـه رضـي اللـه عنهـم وأرضاهم، فلا يُعقل أن يُحجب حقٌّ عـن الصـحابة ويُـدَّخر لأنـاس يجيئـون بعـدهم، قـال إبراهيـم النخعي كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1/97)ـ « لَـم يُـدخَّر لكـم شـيءٌ خُبِّـئَ مـن القوم لفضل عندكم ».

وقـد نقـل الحـافظ ابـن حجـر فـي الفتـح عنـد شـرحه بـاب قـول اللـه تعـالى: [illegible] كلاماً نفيساً لأبي المظفر السـمعاني، فقـال (13/507)ـ « واسـتدلَّ أبـو المظفـر بـن السـمعاني بآيـات البـاب وأحـاديثه علـى فسـاد طريقة المتكلِّمين في تقسيم الأشياء إلـى جسـم وجَـوهر وعـرض، قـالوا فالجسـمُ مـا اجتمـع مـن الافتراق والجوهر ما حمل العرض، والعرض ما لا يَقوم بنفسه، وجعلوا الرُّوح مـن الأعـراض، وردُّوا الأخبارَ في خَلق الرُّوح قبل الجسـد والعقـل قبـل الخلق، واعتمدوا علـى حَدْسـهم ومـا يـؤدِّي إليـه

نظرُهم، ثم يَعرضون عليه النصوصَ فما وافقه قبلوه وما خالفه ردُّوه، ثمَّ ساق هذه الآيات ونظائرَها من الأمر بالتبليغ، قال: وكان مِمَّا أمر بتبليغه التوحيد، بل هو أصلُ ما أمرَ به فلم يترك شيئاً من أمور الدِّين أصولَه وقواعدَه وشرائعَه إلاَّ بلَّغه، ثمَّ لَم يَدْعُ إلى الاستدلال بما تَمسَّكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرفٌ واحدٌ فما فوقه، فعُرف بذلك أنَّهم ذهبوا خلافَ مذهبهم وسلكوا غيرَ سبيلهم بطريق مُحدَث مُخترَع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابُه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العودُ على السلف بالطعن والقَدْح، ونسبتهم إلى قلَّة المعرفة واشتباه الطرق، فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم؛ فإنَّها سريعةُ التهافت كثيرةُ التناقض، وما من كلام تَسمعه لفرقة منهم إلاَّ وتَجدُ لخصومهم عليه كلاماً يوازنه أو يقاربه، فكلٌّ بكلٍّ مقابل، وبعضٌ ببعضٍ مُعارَض، وحسبُك من قبيح ما يلزم من طريقتهم أنَّا إذا جَرينا على ما قالوه وألزمنا الناسَ بما ذكروه لزِم من ذلك تكفيرُ العوَام جميعاً؛ لأنَّهم لا يعرفون إلاَّ الاتِّباعَ المجرَّد،

ولو عُرض عليهم هذا الطريـق مـا فهمـه أكـثرُهم فضلاً عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنَّما غايـة توحيدهم التزامُ ما وجدوا عليه أئمَّتَهم في عقائـد الدِّين والعـضُّ عليهـا بالنواجـذ، والمواظبـة علـى وظائف العبادات وملازمة الأذكار بقلـوبٍ سـليمة طاهرة عن الشُّبَه والشكوك، فـتراهم لا يَحيـدون عما اعتقدوه ولو قُطِّعوا إرَباً إرَباً، فهنيئاً لهم هـذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كُفِّر هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمَّـة، فمـا هـذا إلاَّ طَـيُّ بِسـاط الإسـلام وهـدمُ مَنَـار الـدِّين، والله المستعان ».

وما جاء في كلام أبي المظفـر مـن ذِكـر خلـق العقل فيه نظر؛ قال ابن القيم فـي كتـابه المنـار المنيف (ص:50):ـ « ونحن ننبِّه علـى أمـور كليَّـة يُعرف بها كون الحديث موضـوعاً » إلـى أن قـال (ص:66):ـ « ومنها أحاديث العقل، كلُّها كـذب ... وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصحُّ في العقل حـديث، قاله أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم ابن حبان، والله أعلم ».

وقـد نقـل الحـافظ ابـن حجـر فـي كتـابه فتـح الباري نقولاً عن جماعة مـن السـلف فـي إثبـات

الصفات من غير تشبيه أو تحريف أو تعطيل، وختم ذلك بكلام نفيس له، ومِمَّا قاله (13/407 - 408): « وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبةُ وحماد بنُ زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدِّدون ولا يشبِّهون، ويروُون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف، قال أبو داود: وهو قولنا، قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرُنا.

وأسند اللاَّلكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: اتفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقاتُ عن رسول الله ﷺ في صفة الرَّبِّ من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسَّر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عمَّا كان عليه النَبِيُّ ﷺ وأصحابُه وفارق الجماعةَ؛ لأنه وَصفَ الرَّبَّ بصفَة لا شيء.

ومن طريق الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعيَّ ومالكاً والثوريَّ والليث ابنَ سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة؟ فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.

وأخرج ابنُ أبي حاتم في مناقب الشافعي عن

يونس بن عبد الأعلى: سـمعتُ الشـافعيَّ يقـول: للـه أسـماء وصـفاتٌ، لا يَسَـع أحـداً رَدُّهـا، ومَـن خالف بعد ثبوت الحجَّة عليه فقد كفر، وأمَّـا قبـل قيام الحجة فـإنَّه يُعـذر بالجهـل؛ لأنَّ عِلـمَ ذلـك لا يُـدرَك بالعقـل ولا الرؤيـة والفكـر، فنثبـتُ هـذه الصفات، ونَنفي عنه التشبيهَ، كما نفَى عن نفسه فقال: [illegible].

وأسند البيهقيُّ بسند صحيح عن أحمد بـن أبـي الحواري، عن سفيان بن عيينة قال: كلُّ ما وَصف اللـه بـه نفسَـه فـي كتـابه فتفسـيرُه تلاوتُـه والسكوتُ عنه.

ومن طريق أبي بكر الصُّبَعي قال: مذهبُ أهل السنة في قوله [illegible] قال: بلا كيـف، والآثـارُ فيـه عـن السـلف كـثيرة، وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل.

وقال الترمذي فـي الجـامع عَقـب حـديث أبـي هريرة في النُزول: وهو على العرش كمـا وصـفَ به نفسه في كتابه، كذا قال غيـرُ واحـد مـن أهـل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات.

وقال في باب فضـل الصـدقة: قـد ثبتـت هـذه الروايات فنؤمن بها ولا نتَوهَّم، ولا يُقال كيف، كذا

جاء عن مالك وابن عُيينة وابن المبارك أنَّهم أَمَرُّوها بلا كيف، وهذا قولُ أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأمَّا الجهميَّةُ فأنكروها، وقالوا هذا تشبيهٌ. وقال إسحاق بن راهويه: إنَّما يكون التشبيهُ لو قيل يدٌ كيَدٍ، وسَمعٌ كسمعٍ.

وقال في تفسير المائدة: قال الأئمةُ: نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير، منهم: الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك.

وقال ابن عبد البر: أهلُ السُّنَّة مُجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ولم يُكَيِّفوا شيئاً منها، وأمَّا الجهميَّةُ والمعتزلةُ والخوارجُ فقالوا: مَن أقرَّ بها فهو مشبِّهٌ، فسمَّاهم مَن أقَرَّ بها مُعَطِّلةً.

وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية: اختلفت مسالكُ العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضُهم تأويلَها، والتزم ذلك في آي الكتاب وما يَصحُّ من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويضِ معانيها إلى الله تعالى، والذي نرتضيه رأياً ونَدين الله به عقيدةً اتِّباع سلف الأمَّة؛ للدَّليل القاطع على أنَّ إجماعَ الأمَّة حُجةٌ،

فلو كـان تأويـلُ هـذه الظـواهر حتمـاً لأوشـكَ أن يكــون اهتمــامُهم بــه فــوق اهتمــامهم بفــروع الشريعة، وإذا انصـرم عصـرُ الصـحابة والتـابعين على الإضراب عن التأويـل كـان ذلـك هـو الـوجه المتَّبَع. انتهى.

وقد تقدَّم النقلُ عن أهـل العصـر الثـالث وهـم فقهــاءُ الأمصــار، كــالثوري والأوزاعــي ومالــك والليث ومَن عاصرهم، وكذا مَـن أخـذ عنهـم مـن الأئمة، فكيف لا يُوثَق بما اتَّفق عليه أهلُ القــرون الثلاثــة، وهــم خيــرُ القــرون بشــهادة صــاحبِ الشريعة)).

ومـا جـاء فـي كلام الجـوينِي مـن أنَّ السَّـلف يُفوِّضــــــون معــــــاني الصــــــفات إلى الله عزَّ وجلَّ غير صحيح؛ فإنَّهم يُفوِّضون في الكيــــــــف، ولا يُفوِّضــــــــون في المعنى، كما جاء عن مالك رحمـه اللـه، فقـد سُـئل عـن كيفيـة الاسـتواء؟ فقـال: ((الاسـتواء معلـومٌ، والكيـف مجهـول، والإيمـان بـه واجـب، والسؤال عنه بدعة)).

* * *

الفائدة الثانية:

وَسَطيَّةُ أهل السنة والجماعة في العقيدة بين فرق الضلال

أمَّةُ نبيِّنا محمد ﷺ وَسَطٌ بين الأمم؛ فإنَّ اليهودَ والنصارى متضادُّون، فاليهود جَفَوا في الأنبياء حتى قتلوا من قتلوا منهم، والنصارى غَلَوا في عيسى عليه الصلاة والسلام، فجعلوه إلَهاً مع الله، وهذا من أمثلة تضادِّهم في الاعتقاد، ومن أمثلة تقابلهم في الأحكام أنَّ اليهودَ لا يُؤاكلون الحائضَ ولا يُجالسونها، والنصارى بضدِّهم؛ فإنّهم يُجامعونها.

وكما أنَّ هذه الأمَّة وسَطٌ بين الأمم، فإنَّ أهل السنَّة والجماعة وسَطٌ بين فرق هذه الأمة، فهم:

أوَّلا: وسَطٌ في صفات الله بين المعطِّلة والمشبِّهة؛ فإنَّ المشبِّهةَ أثبتوا، ولكنَّهم شبَّهوا ومثَّلوا، وقالوا: لله يدٌ كأيدينا، ووجه كوجوهنا، وهكذا، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيراً.

وأمَّا المعطِّلة، فإنَّهم تصوَّروا أنَّ الإثباتَ يستلزم التشبيهَ؛ ففرُّوا من الإثبات إلى التعطيل؛ تنْزيهاً لله عن مشابهة المخلوقين بزعمهم، لكن آل أمرُهم إلى أن وقعوا في تشبيه أسوأ، وهو التشبيه بالمعدومات؛ فإنَّه لا يُتصوَّرُ وجود ذات مجرَّدة من جميع الصفات.

وأمَّا أهل السُّنَّة والجماعة، فإنَّهم توسَّطوا بين هــؤلاء وهــؤلاء، فــأثبتوا بلا تشــبيه، ونَزَّهــوا بلا تعطيل، كما قال الله عزَّ وجـلَّ: ﴿ ﴾، فأثبتوا لله السَّمعَ والبصرَ كما أثبت الله ذلك لنفسـه، فلَـم يُعطِّلـوا، ومع إثباتهم نزَّهوا ولم يُشبِّهوا، فالمشبِّهةُ عنـدهم الإثبـات والتشـبيه، والمعطِّلـة عنـدهم التعطيـل والتَنْزيه، وأهـل السُّـنَّة عنـدهم الإثبـات والتنْزيـه، فجمعوا بين الحُسنيين: الإثبات والتنْزيه، وسَلِموا مـن الإسـاءتين: التشـبيه والتعطيـل، والمُعطِّلـةُ يَصفون أهلَ السُّنَّة زوراً أنَّهم مُشـبِّهة؛ لأنَّهـم لـم يتصـوَّروا إثباتـاً إلاَّ مـع التشـبيه، وأهـل السُّـنَّة يصفون المعطِّلة بأنَّهم نافون للمعبـود، قـال ابـن عبد البر في التمهيد (7/145): « وأمَّا أهل البدع والجهميــة والمعتزلــة كلُّهــا والخــوارج، فكلُّهــم يُنكرهــا، ولا يحمــل شــيئاً منهــا علــى الحقيقــة، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بهـا مشـبِّه، وهـم عنـد مـن أثبتها نافون للمعبود ».

ونقلــه عنــه الــذهبي فــي العلــو (ص:1326)، وعلَّق عليه قائلاً: « صدق واللـه! فـإنَّ مـن تـأوَّل سـائر الصـفات وحمـل مـا ورد منهـا علـى مجـاز

الكلام، أدَّاه ذلك السَّلب إلى تعطيل الربِّ، وأن يشابه المعدوم، كما نُقل عن حماد بن زيد أنَّه قال: مَثل الجهمية كقوم قالوا: في دارنا نخلة، قيل: لها سَعَف؟ قالوا: لا، قيل: فلها كَرَب؟ قالوا: لا، قيل: لها رُطَب وقِنو؟ قالوا: لا، قيل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة!)).

والمعنى أنَّ من نفى عن الله الصفات، فإنَّ حقيقةَ أمره نفيُ المعبود؛ إذ لا يُتصوَّرُ وجود ذات مجرَّدة من جميع الصفات.

ولهذا قال ابن القيم في المقدمة التي بين يدي قصيدته النونية: ((فالمشبِّه يعبدُ صنماً، والمعطِّلُ يعبدُ عدماً، والموحِّد يعبدُ إلَهاً واحداً صمداً، [illegible])).

وقال أيضاً: ((قلبُ المعطِّل متعلِّقٌ بالعدم، فهو أحقرُ الحقير، وقلبُ المشبِّه عابدٌ للصنم الذي قد نُحت بالتصوير والتقدير، والموحِّد قلبُه متعبِّدٌ لِمَن ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير)).

ثانياً: وهم وسَطٌ في أفعال العباد بين الجبرية

الغلاة الذين ينفون عن العبد الاختيار، ويجعلون أفعالَه كحركات الأشجار، وبين القدرية النفاة الذين يجعلون العبدَ خالقاً لفعله، وينفون تقدير الله عليه، فأهل السنَّة والجماعة يُثبتون للعبد مشيئةً واختياراً، بهما يستحقُّ الثوابَ والعقابَ، لكن لا يجعلونه مستقلاًّ في ذلك، بل يجعلون مشيئتَه وإرادتَه تابعةً لمشيئة الله وإرادته، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ، وهو سبحانه وتعالى خالقُ العباد وأفعال العباد، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ .

ثالثاً: وهم وَسَطٌ في باب الوَعد والوعيد بين المرجئة الذين غلَّبوا جانبَ الوَعد وأهملوا جانبَ الوعيد، فقالوا: إنَّه لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا ينفعُ مع الكفر طاعة، والخوارجِ والمعتزلة الذين غلَّبوا جانبَ الوعيد وأهملوا جانبَ الوعد، فجعلوا مرتكبَ الكبيرة خارجاً من الإيمان في الدنيا، خالداً مخلَّداً في النار في الآخرة، فأهلُ السُّنَّة والجماعة أعمَلوا نصوصَ الوعد ونصوصَ الوعيد معاً، وجعلوا مرتكبَ الكبيرة ليس خارجاً من الإيمان في الدنيا، وفي الآخرة أمرُه إلى الله، إن

شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه، وإذا عذَّبه فإنَّه لا يُخلِّده في النار كما يخلِّدُ فيها الكفار، بل يُخرجُ منها ويُدخل الجنَّة.

رابعاً: وهم وَسَطٌ في باب أسماء الإيمان والدِّين بين المرجئة الذين فرَّطوا، فجعلوا العاصيَ مؤمناً كاملَ الإيمان، وبين الخوارج والمعتزلة الذين أفرَطوا فأخرجوه من الإيمان، ثمَّ حكمت الخوارجُ بكفره، وقالت المعتزلة: إنَّه في منْزلة بين المنْزلتين، فأهل السُّنَّة وصفوا العاصيَ بأنَّه مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، فلَم يجعلوه مؤمناً كاملَ الإيمان، كما قالت المرجئة، ولم يجعلوه خارجاً من الإيمان كما قالت الخوارجُ والمعتزلة، بل قالوا: هو مؤمن بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، فلَم يُعطوه الإيمانَ المطلق، ولم يسلبوا عنه مطلقَ الإيمان، ويجتمع في العبد إيمانٌ ومعصيةٌ وحبٌّ وبُغضٌ، فيُحَبُّ على ما عنده من الإيمان، ويُبغَضُ على ما عنده من الفسوق والعصيان، وهو نظير الشيب الذي يكون محبوباً إذا نُظر إلى ما بعده وهو الموت، وغير محبوب إذا نُظر إلى ما قبله وهو الشباب، كما قال الشاعر:

الشيبُ كرهٌ وكرهٌ أن نفارقَه فاعْجب لشيءٍ على البغضاءِ محبوب

خامساً: وهم وَسَطٌ بين الخوارج الذين كفَّروا عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما ومن معهما وقاتلوهم واستحلُّوا أموالَهم، وبين الروافض الذين غَلَوا في عليٍّ وفاطمةَ وأولادهما رضي الله عنهم، وجَفَوا في حقِّ أكثر الصحابة، فأبغضوهم وسَبُّوهم، فأهل السُّنَّة يُحبُّون الصحابةَ جميعاً ويوالونهم ويُنْزلونهم منازلَهم ولا يقولون بعصمتِهم، وقد قال الطحاويُّ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: ((ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ ولا نفرطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبَرَّأ من أحدٍ منهم، ونُبغضُ مَن يُبغضهم، وبغير الخير يَذكرهم، ولا نذكرُهم إلاَّ بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان)).

ففي قوله رحمه الله: ((ونحبُّ أصحابَ رسول الله)) سلامة أهل السُّنَّة من الجفاء، وفي قوله: ((ولا نفرط في حبِّ أحدٍ منهم)) سلامتهم من الغلُوِّ، أي: ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ، فلسنا جُفاةً، ومع حبِّنا لهم فلسنا غلاةً.

وقد أجمل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله

- هـذه الأمـور الـتي أهـل السُّـنَّة والجماعـة فيهـا وَسَـطٌ بيـن فـرق الضـلال، فـي كتـابه العقيـدة الواسـطية، فقـال (ص:107 - 113):ـ « فهـم وَسَطٌ في باب صفات الله سـبحانه وتعـالى بيـن أهل التعطيل الجهميـة وأهـل التمثيـل المشـبِّهة، وهـم وَسَـطٌ فـي بـاب أفعـال اللـه بيـن الجبريـة والقدريـة وغيرهـم، وفـي بـاب وعيـد اللـه بيـن المرجئة والوعيديـة مـن القدريـة وغيرهـم، وفـي بـاب أسـماء الإيمـان والـدِّين بيـن الحروريـة والمعتزلـة، وبيـن المرجئـة والجهميـة، وفـي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج ».

* * *

الفائدة الثالثة:

عقيدة أهل السُّـنَّة والجماعـة مطابقـةٌ للفطرة

روى البخـاري فـي صـحيحه (1385) ومسـلم فـي صـحيحه (2658)ـ

- واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَبِيُّ ﷺ: « كلُّ مولود يُولَد على الفطـرة، فـأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه ... » الحديث.

وفي صحيح مسلم (2865) من حديث عيـاض

بـن حمـار المجاشـعي ﷺ: ((... وإنِّـي خلقـتُ عبـادي حنفـاء كلّهـم، وإنَّهـم أتتهـم الشـياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهـم مـا أحللـتُ لهـم، وأمرتهـم أن يُشـركوا بـي مـا لـم أُنـزل بـه سلطاناً)) الحديث.

وهذان الحديثان يدلاَّن على أنَّ دينَ الإسلام هو ديـنُ الفطـرة، وعقيـدةَ أهـل السُّـنَّة والجماعـة مطابقةٌ للفطرة، ولهذا جاء في حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ في صحيح مسلم (537) في قصة جاريته، وفيه أنَّه قـال: ((أفلا أُعتقهـا؟ قـال: ائتنِي بها، فأتيتُه بها، فقال لها: أيـن اللـه؟ قـالت: في السماء، قال: مَـن أنـا؟ قـالت: أنـت رسـول الله، قال: اعتقها فإنَّها مؤمنة)).

فهذه الجاريـةُ بفطرتهـا أجـابت بـأنَّ اللـه فـي السماء، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] ، والمـراد بالسماء العلو، أو تكون (في) بمعنى (على) كمـا فـي قـوله تعـالى: [illegible] أي: على جذوع النخل.

وأمَّا الذين ابتُلوا بعلـم الكلام، فـإنَّهم يقولـون: إنَّ علوَّ الله عزَّ وجلَّ علُوُّ قدر وقهر، وأهلُ السَّـنَّة والجماعة يقولون إنَّ علُوَّ الله عزَّ وجلَّ علُـوُّ قـدر وقهـر وذات، وقـد جـاء عـن بعـض المتكلميـن وغيرهم عباراتٌ تـدلُّ علـى أنَّ السـلامةَ والنجـاةَ إنَّما هي في عقيـدة العجـائز المطابقـة للفطـرة، وقـد نقـل شـارحُ الطحاويـة عـن أبـي المعـالي الجوينِي كلاماً ذمَّ فيه علمَ الكلام، وقال فيه عنـد موته: « وهَـا أنـا ذا أمـوت علـى عقيـدة أمِّـي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور ».

وفي ترجمة الرازي - وهو من كبار المتكلِّمين - فـي لسـان الميـزان (4/427): « وكان مع تبحُّره في الأصول يقـول: من التزم دينَ العجائز فهو الفائز ».

وقال أبو محمد الجـويني والـد إمـام الحرميـن في نصيحته لمشـايخه مـن الأشـاعرة (1/185 - مجموعـة الرسـائل المنيريـة): « فمـن تكـون الراعيـة أعلـم بـالله منـه لكـونه لا يعـرف وجهـة معبـوده، فـإنَّه لا يـزال مظلـمَ القلـب، لا يسـتنيرُ بأنوار المعرفة والإيمان ».

وروى ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح على شرط مسلم (5/374) عن جعفر بن بُرقان قـال:

« جاء رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز فسأله عن شيء من الأهواء، فقال: الزَم دينَ الصبِيِّ في الكُتَّاب والأعرابيِّ، والْهُ عمَّا سوى ذلك »، وعزاه إليه النووي في تهذيب الأسماء واللغات (2/22).

* * *

الفائدة الرابعة:

الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر

أهل السُّنَّة والجماعة يُثبتون كلَّ ما أثبته اللهُ لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ من الأسماء والصفات على وَجه يليق بكماله وجلاله ، مِن غير تَكييف أو تَمثيل ، ومن غير تَعطيل أو تأويل، ويقولون لِمَن أثبت الذات ونفَى الصفات وهم الجهمية والمعتزلة: إنَّ الكلامَ في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات؛ فكما أنَّنا نُثبت لله ذاتاً لا تُشبه ذوات المخلوقات، فيجب أن نثبتَ كلَّ ما ثبت في الكتاب والسنة من الصفات دون أن يكون فيها مشابهةٌ للمخلوقات، ويقولون لِمَن أثبت بعضَ الصفات وأوَّل بعضَها، وهم الأشاعرة: القولُ في

بعضِ الصفات كالقول في البعض الآخر؛ فـإنَّ مـا أثْبَتَّ من الصفات على وجهٍ يليق بالله عزَّ وجـلَّ، يلزمك إثبات الباقي على هذا الوجه اللاَّئق بـالله، وانظر توضيح هذين الأصلين في كتـاب التدمريـة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص:31 ـ 46).

* * *

الفائدة الخامسة:

السَّلفُ ليسوا مُؤوِّلةً ولا مُفوِّضة

من المعلوم أنَّ سلفَ هذه الأمَّة مـن الصـحابة وتـابعيهم بإحسـان يُثبتـون للـه مـا أثبتـه لنفسـه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، علـى وجه يليقُ بكماله وجلاله، فلا يُشبِّهون ولا يُعطِّلون ولا يُكيِّفـون، بخلاف طريقـة الخلـف، الـتي هـي التأويل لصفات الله عزَّ وجلَّ وصرفها إلـى معـان باطلـة، وبخلاف طريقـة المُفوِّضـة، الـتي زعـم المؤوِّلةُ أنَّها طريقةُ السَّلف، والتي يقولـون فيهـا عن صفات الله عزَّ وجلَّ: الله أعلـمُ بمـراده بهـا، وقد أوضحَ عقيـدةَ السـلف فـي الصـفات الإمـامُ مالكٌ ـ رحمه الله ـ في كلامه المشهور لَمَّـا سُـئل عن كيفيـة الاسـتواء، فقـال: « الاسـتواءُ معلـومٌ، والكيف مجهـولٌ، والإيمـان بـه واجـبٌ، والسـؤال

عنه بدعة))**.**

فهم لا يُفوِّضون فـي المعنـى، وإنَّمـا يُفوِّضـون في الكيفية، ومَـن زعـم أنَّ طريقـةَ السـلف مـن الصحابة ومن تبعهم تفويضٌ في معاني الصـفات، فقد وقع فـي محـاذير ثلاثـة هـي: جهلـه بمـذهب السلف، وتجهيله لهم، والكذب عليهم.

أمَّا جهلُه بمذهب السـلف؛ فلكـونه لا يعلـم مـا هم عليه، وهو الذي بيَّنه الإمـام مالـكٌ فـي كلامـه المتقدِّم.

وأمَّا تجهيله لهم، فذلك بنسـبتهم إلـى الجهـل، وأنَّهــم لا يفهمــون معــاني مــا خوطبــوا بــه، إذ طريقتُهم على زعمه في الصفات أنَّهـم يقولـون: الله أعلم بمراده بها.

وأمَّــا الكــذب عليهــم، فإنَّمــا هــو بنســبة هــذا المذهب الباطل إليهم، وهم برآءُ منه.

* * *

الفائدة السادسة:

كلٌّ من المشبِّهة والمعطِّلة جمعوا بيــن التمثيل والتعطيل

المعطِّلةُ هم الذين نفوا صفات الله عـزَّ وجـلَّ، ولم يُثبتوها على ما يليق بالله، وشُبهتُهم أنَّ إثبات

الصفات يستلزم التشبيه؛ لأنَّهم لَم يتصوَّروا الصفات إلاَّ وفقاً لِما هو مشاهَد في المخلوقين، فجرَّهم ذلك التصوُّرُ الخاطئ إلى التعطيل، فكان ما وقعوا فيه أسوأَ مِمَّا فرُّوا منه؛ إذ كانت النتيجة أن يكون الله تعالى وتنَزَّه شبيهاً بالمعدومات؛ إذ لا يُتصوَّرُ وجود ذات خالية من الصفات.

ويتَّضح ذلك في صفة كلام الله عزَّ وجلَّ، فإنَّهم لم يتصوَّروا من إثبات أنَّ الله يتكلَّم بحرف وصوت إلاَّ التشبيه بالمخلوقين؛ لأنَّه يلزَمُ من ذلك أن يكون كلامُه بلسان وحُنجرة وشفتين؛ لأنَّهم لا يعقلون ذلك إلاَّ في المخلوقين، وذلك التصوُّرُ الخاطئُ مردودٌ من وجوه:

الأول: أنَّه لا تلازمَ بين الإثبات والتشبيه؛ فإنَّ الإثبات يكون مع التشبيه، وهو باطلٌ لا شكَّ فيه، ويكون مع التنْزيه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ § = ÷ . » (# ﴾، فأثبت السمعَ والبصرَ، ونفى مشابهة غيره له، وهذا هو اللاَّئق بكمال الله وجلاله، وهو الحقُّ الذي لا ريب فيه.

الثاني: أنَّ ما زعموه من أنَّ الإثباتَ يقتضي التشبيه، ومن أجله عطَّلوا الصفات، أدَّاهم ذلك

إلى التشبيه بالمعدومات، وهو أسوأ، وقد مرَّ في كلام بعض أهل العلم ما يُبيِّن ذلك، لا سيما ما عزاه الذهبي إلى حماد بن زيد من التمثيل بالنخلة، التي نفى أصحابُها كلَّ صفات النخل عنها، وقيل لهم: إذاً فما في داركم نخلة! وذلك في الفائدة الثانية.

الثالث: أنَّه قد وُجد في المخلوقات حصولُ الكلام على خلاف ما هو مشاهَدٌ في المخلوقين؛ فإنَّ ذراعَ الشاة التي وُضع فيها السُّمُّ للرسول ﷺ كلَّمته وأخبَرته بأنَّها مسمومةٌ، كما في سنن أبي داود (4510) و(4512).

وروى مسلم في صحيحه (2277) عن جابر بن سَمُرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنِّي لأعرفُ حَجَراً بمكة كان يُسلِّمُ عليَّ قبل أن أُبعَث، إنِّي لأعرفه الآن)).

وهذا من كلام بعض المخلوقات في الدنيا، وأمَّا في الآخرة، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾ ، وقال: ﴿ [illegible] ﴾

[illegible]

أفَيُقــال: إنَّ كلامَ الــذِّراعِ والحجــرِ والأيــدي والأرجلِ لا يكون إلاَّ بلسان وشفتَين؟!

وإذا كـانت هـذه المخلوقـات وُجـد منهـا الكلام على وجه يُخالف ما هو مشاهَدٌ فـي المخلـوقين، فإنَّه يجب إثبات الكلام للـه عـزَّ وجـلَّ علـى وجـه يليق بكماله وجلاله، دون أن يكون مشـابهاً لأحـد من خلقه.

وبهذا يتبيَّن أنَّ المعطِّلةَ جمعـوا إلـى التعطيـل التشبيه، وأمَّا المشبِّهة فإنَّهم أثبتـوا الصـفات للـه عزَّ وجلَّ، لكن جعلوه فيهـا مشـابهاً للمخلوقـات، وقد أضافوا إلى كـونهم مشـبِّهةً التعطيـلَ، وذلـك أنَّهم لم يُثبتوا الصفات على وجـه يليـق بـالله عـزَّ وجلَّ، وبذلك كانوا معطِّلة.

* * *

الفائدة السابعة:

متكلِّمون يَذمُّون علمَ الكلام ويُظهـرون الحَيرة والنَّدم

عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مبنيَّةٌ على الدليل من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ وما كان عليه صحابتُه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، فهي صافيةٌ نقيَّةٌ، واضحةٌ جليَّة، ليس فيها غموض ولا تعقيد، بخلاف غيرهم الذين عوَّلوا على العقول، وتأوَّلوا النقول، وبنَوا معتقداتهم على علم الكلام المذموم، الذي بيَّن أهلُه الذين ابتُلوا به ما فيه من أضرار، وندموا على ما حَصَلَ منهم من شغل الأوقات فيه من غير أن يظفروا بطائل، ولا أن يصلوا إلى حقٍّ، وفي نهاية أمرهم صاروا إلى الحيرة والنَّدَم، فمنهم من وُفِّق لتركه واتِّباع طريقة السَّلف، وجاء عنهم عيبُ علم الكلام وذمُّه.

فأبو حامد الغزالي - رحمه الله - من المتمكِّنين في علم الكلام، ومع ذلك فقد جاء عنه ذمُّه، بل والمبالغة في ذمِّه، ولا يُنبئك مثلُ خبير، جاء ذلك عنه في كتابه إحياء علوم الدِّين، حيث بيَّن ضررَه وخطرَه، فقال (ص:91 ـ 92): « أمَّا مضرَّته، فإثارةُ الشبهات وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مِمَّا يحصل في الابتداء،

ورجوعُها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضررُه في الاعتقاد الحقِّ، وله ضررٌ آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشتدُّ حرصُهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصُّب الذي يثور من الجدل ».

إلى أن قال: « وأمَّا منفعتُه، فقد يُظنُّ أنَّ فائدَتَه كشفُ الحقائق ومعرفتُها على ما هي عليه، وهيهات؛ فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعلَّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدِّث أو حشوي ربَّما خطر ببالك أنَّ الناسَ أعداءُ ما جهلوا، فاسمع هذا مِمَّن خَبَر الكلامَ ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلِّمين، وجاوز ذلك إلى التعمُّق في علوم أخر تناسبُ نوع الكلام، وتحقق أنَّ الطريقَ إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمري لا ينفكُّ الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور في أمور جليَّة تكاد تفهم قبل التعمُّق في صنعة الكلام ».

وقد نقل شارحُ الطحاوية عنه هذا الكلام وغيرَه في ذمِّ علم الكلام (ص:236)، وقال (ص:238): ((وكلامُ مثلِه في ذلك حجَّة بالغة)).

ثمَّ بيَّن شارح الطحاوية أنَّ السَّلفَ كرهوا علمَ الكلام وذمُّوه:

((لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحقِّ، ومن ذلك مخالفتُها للكتاب والسُّنَّة، وما فيه من علوم صحيحة، فقد وعَّروا الطريقَ إلى تحصيلها، وأطالوا الكلامَ في إثباتها مع قلَّة نفعها، فهي لحمُ جَمل غثٍّ على رأس جبل وَعْر، لا سهلٌ فيُرتقى، ولا سمين فيُنتقل، وأحسنُ ما عندهم فهو في القرآن أصحُّ تقريراً وأحسن تفسيراً، فليس عندهم إلاَّ التكلُّف والتطويل والتعقيد)).

إلى أن قال: ((ومن المحال أن لا يحصلَ الشِّفاءُ والهدى والعلمُ واليقين من كتاب الله وكلام رسوله، ويحصلُ من كلام هؤلاء المتحيِّرين، بل الواجب أنَّ يجعل ما قاله اللهُ ورسولُه هو الأصل، ويتدبَّر معناه ويعقله، ويعرف برهانَه ودليلَه، إمَّا العقلي، وإمَّا الخبري السَّمعي، ويعرف دلالته على هذا وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة مجملة،

فيُقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يُوافق خبر الرسول قُبل، وإن أرادوا بها ما يُخالفه رُدَّ))**.**

وقال أيضاً في (ص:243): ((قال ابن رُشد الحفيد – وهو من أعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم – في كتابه تهافت التهافت: (ومَن الذي قال في الإلَهيات شيئاً يعتدُّ به؟)، وكذلك الآمدي – أفضل أهل زمانه – واقفٌ في المسائل الكبار حائر، وكذلك الغزالي – رحمه الله – انتهى آخرُ أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثمَّ أعرض عن تلك الطرق، وأقبلَ على أحاديث الرسول ﷺ، فمات والبخاري على صدره، وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنَّفه في أقسام اللذات:

نِهايةُ إقدام العقول ... وغايةُ سعي العالمين
عِقالُ ... ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من ... وحاصلُ دنيانا أذَى
جسومنا ... وبالُ
ولم نستفد من بحثنا ... سوى أن جمعنا فيه:
طول عمرنا ... قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ... فبادوا جميعاً

ودولـــــــــــــــــــــةٍ مســـرعين وزالـــوا
وكـم من جبـال قد عَلَت شُرُفاتِها رجالٌ فزالوا والجبــالُ جـبـالُ

لقـد تـأمَّلتُ تلـك الطـرق الكلاميـة والمناهـج الفلسفية، فما رأيتُها تشفي عليلاً، ولا تُروي غليلاً، ورأيتُ أقـربَ الطـرق طريـق القـرآن، اقـرأ فـي الإثبـات: [illegible]، واقـــرأ فـــي النفـي: [illegible]، ثم قال: (ومَن جرَّب مثلَ تجربَتِي، عرف مثل معرفتِي).

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرسـتاني، إنَّـه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلاَّ الحيرة والندم، حيث قال:

لعمــري لقــد طُفــت المعاهـــــد كلهـــــا وسَيَّرتُ طرفي بيـن تلـــــك المعـــــالم
فلـــم أر إلاَّ واضـــعاً كـفَّ حـائر على ذقـن أو قــارعاً سنَّ نـادم

وكذلك قال أبو المعالي الجـويني رحمـه اللـه: (يا أصحابنا! لا تشـتغلوا بـالكلام، فلـو عرفـتُ أنَّ الكلامَ يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشـتغلتُ بـه)، وقـال عند موته: (لقد خضتُ البحرَ الخِضَمَّ، وخلَّيتُ أهل

الإسلام وعلومَهم، ودخلتُ في الذي نَهـونِي عنـه، والآن فإن لم يتداركنِي ربِّي برحمته، فالويل لابن الجوينِي، وها أنـا ذا أمـوت علـى عقيـدة أمِّـي، أو قال: على عقيدة عجـائز نيسـابور)، وكـذلك قـال شـمس الـدين الخسروشـاهي - وكـان مـن أجـلِّ تلامذة فخر الدِّين الرازي - لبعـض الفضـلاء، وقـد دخل عليه يوماً فقال: (ما تعتقد؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقـال: وأنـتَ مُنشـرح الصَّـدر لـذلك مسـتيقن بـه؟ أو كمـا قـال، فقـال: نعـم، فقـال: اشكر الله على هذه النِّعمـة، لكنِّـي - واللـه! - مـا أدري ما أعتقـد، - واللـه! - مـا أدري مـا أعتقـد! - والله! - ما أدري ما أعتقـد!) وبكـى حـتى أخضَـل لحيته.

ولابن أبي الحديد الفاضل المشهور بالعراق:

فيـــكَ يـــا أُغلوطـــة الفِكَـــــــــــــــر
حارَ أمري وانقضـى عمـــــــــــــري
سافرتْ فيك العقـولُ فمـــــــــــــــا
ربحـــــــت إلاَّ أذى الســـــــــــفر
فلحـــى اللـــه الأُلـــى زعمـــــــــــوا
أنَّـــك المعـــروف بالنَّـــــــــظر
كـذبـــــوا إنَّ الـــــذي ذكـروا
خـــارجٌ عـــن قـــوة البشـــر

وقال الخونجي عند موته: (ما عرفتُ مِمَّا حصَّلته شيئاً سوى أنَّ الممكن يفتقر إلى المرجِّح، ثم قال: الافتقار وصفٌ سلبِيٌّ، أموت وما عرفتُ شيئاً).

وقال آخر: (أضطجع على فراشي، وأضع الملحفةَ على وجهي، وأقابل بين حُجَج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجَّح عندي منها شيء) ».

إلى أن قال شارح الطحاوية: « وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيُقرُّ بما أقرُّوا به، ويُعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها ثمَّ تبيَّن له فسادُها، أو لم يتبيَّن له صحتُها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بِمنْزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب ».

وكان أبو محمد الجوينِي والد إمام الحرمين في حيرة واضطراب في صفات الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ صار إلى مذهب السَّلف، وألَّف رسالة نُصح لبعض مشايخه من الأشاعرة، وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (1/174 - 187).

الفائدة الثامنة:

هل صحيح أنَّ أكثرَ المسلمين فـي هـذا العصر أشاعرة؟

الأشـاعرة هـم المنتسـبون إلـى أبـي الحسـن الأشعري، وهو علي بن إسماعيل المتوفى سنة (330هـ) رحمه الله، وقد مـرَّ فـي العقيـدة بثلاثـة أطوار: كان على مذهب المعتزلة، ثـم فـي طـور بين الاعتزال والسُّنَّة، يثبت بعضَ الصفات ويـؤوِّل أكثرها، ثمَّ انتهى أمره إلى اعتقـاد مـا كـان عليـه سلف الأمة؛ إذ أبان عـن ذلـك فـي كتـابه الإبانـة، الذي هو من آخـر كتبـه أو آخرهـا، فـبيَّن أنَّـه فـي الاعتقـاد علـى مـا كـان عليـه إمـام أهـل السُّـنَّة، الإمام أحمد بن حنبـل - رحمـه اللـه - وغيـره مـن أهل السُّنَّة، وهو إثبات كلّ م ا أثبتـه اللـه لنفسـه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، علـى ما يليق بالله، من غير تكييف أو تمثيل، ومن غيـر تحريف أو تأويل، كما قال الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾.

والأشاعرة باقون على مذهبه الذي كـان عليـه قبل الانتقال إلى مـذهب أهـل السُّـنَّة والجماعـة، وقد اشتهر عند بعض الناس مقولةٌ أنَّ الأشـاعرة في هذا العصر يُمثِّلون 95٪ من المسلمين، وهذه

المقولة غير صحيحة من وجوه:

الأول: أنَّ إثبات مثل هذه النسبة إنَّما يكون بإحصاء دقيق يؤدِّي إلى ذلك، وهو غير حاصل، وهي مجرَّد دعوى.

الثاني: أنَّه لو سُلِّم أنَّهم بهذه النِّسبة؛ فإنَّ الكثرةَ لا تدلُّ على السلامة وصحَّة العقيدة، بل السَّلامةُ وصحَّةُ المعتقد إنَّما تحصل باتِّباع ما كان عليه سلف هذه الأمَّة من الصحابة ومَن سار على نهجهم، وليست باتِّباع معتقد توفي صاحبُه في القرن الرابع، وقد رجع عنه، وليس من المعقول أنَّ يُحجب حقٌّ عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، ثم يكون في اتِّباع اعتقاد حصلت ولادتُه بعد أزمانهم.

الثالث: أنَّ مذهب الأشاعرة إنَّما يعتقده الذين تعلَّموه في مؤسَّسات علمية، أو تعلَّموه من مشايخ كانوا على مذهب الأشاعرة، وأمَّا العوام - وهم الأكثرية - فلا يعرفون شيئاً عن مذهب الأشعرية، وإنَّما هم على الفطرة التي دلَّ عليها اعتقاد الجارية في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، وقد تقدَّم.

والعقيدة المطابقة للفطـرة هـي عقيـدة أهـل السُّنَّة والجماعة، وقد مرَّ إيضاحُ ذلـك قريبـاً فـي الفائدة الثالثة.

* * *

الفائدة التاسعة:

عقيــدة الأئمَّــة الأربعــة ومَــن تفقَّــه بمذاهبهم

من أئمَّة أهل السُّنَّة الإمام أبـو حنيفـة والإمـام مالك والإمام الشافعي والإمـام أحمـد بـن حنبـل رحمهم الله، وعقيدتُهم هـي عقيـدة السَّـلف مـن الصحابة ومَن سار على نهجهم.

وأمَّا المشـتغلون بـالفقه بعـدهم، فمنهـم مـن يستفيدُ من علمهم في الفروع، ويُعـوِّل علـى مـا دلَّ عليه الدليل؛ أخذاً بوصايا الأئمَّة أنفسهم، فإنَّ كلَّ واحد منهم جاء عنه الأمرُ باتِّباع الدليل، وتركِ قوله إذا كان الدليلُ على خلافه، وهؤلاء موافقون لهم في العقيدة.

ومنهم مَن يُقلِّـدُهم فـي مسـائل الفـروع، دون سعيٍ إلى معرفة الرَّاجح بالـدَّليل، وهـؤلاء منهـم مَن يُوافقهم في العقيدة، وكثيرون منهـم يتَّبعـون مذهب الأشاعرة.

ومن أمثلة مَن تفقَّه في المذهب الحنفي وهو على عقيدة السَّلف الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وشارح هذه العقيدة علي بن أبي العز الحنفي، ومنهم في المذهب الشافعي عبد الرحمن ابن إسماعيل الصابوني، مؤلِّف كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث، والذهبي صاحب كتاب العلو، وابن كثير صاحب التفسير، ومنهم في المذهب المالكي ابن أبي زيد القيرواني، وأبو عمر الطلمنكي، وأبو عمر بن عبد البر، ومنهم في المذهب الحنبلي الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والإمام محمد بن عبد الوهاب.

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة كما في مختصره لابن الموصلي اثنين وأربعين وجهاً في إبطال قول مَن فسَّر الاستواء على العرش بالاستيلاء عليه، وذكر أنَّ كثيراً من المالكية على منهج السَّلف في العقيدة، فقال في (2/132 - 136):

« الوجه الثاني عشر: أنَّ الإجماعَ منعقدٌ على أنَّ الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجازاً، قال الإمام أبو عمر الطلمنكي - أحد أئمَّة

المالكية وهو شيخ أبـي عمـر بـن عبـد الـبر - فـي كتـابه الكـبير الـذي سَـمَّاه الوصـول إلـى معرفـة الأصول، فذكر فيه من أقوال الصـحابة والتـابعين وتابعيهم وأقوال مالك وأئمَّة أصحابه، ما إذا وقف عليه الواقفُ علمَ حقيقةَ مـذهب السَّـلف، وقـال في هذا الكتاب: أجمع أهـلُ السـنَّة علـى أنَّ اللـه تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

الوجه الثالث عشر: قال الإمـام أبـو عمـر بـن عبـد الـبر فـي كتـاب التمهيـد فـي شـرح حـديث النُـزول: « وفيـه دليـلٌ علـى أنَّ اللـه تعـالى فـي السماء على العرش من فوق سبع سموات، كمـا قالت الجماعة وقـرَّر ذلـك، إلـى أن قـال: وأهـل السُّنَّة مجمعون علـى الإقـرار بالصـفات الـواردة في القرآن والسُّـنَّة، والإيمـان بهـا وحملهـا علـى الحقيقة لا على المجاز، إلاَّ أنَّهم لا يُكيِّفـون شـيئاً من ذلك، ولا يَحدُّون فيـه صـفة مخصوصـة، وأمَّـا أهل البدع الجهمية والمعتزلـة والخـوارج، فكلُّهـم يُنكرُهـا ولا يحمـل شـيئاً منهـا علـى الحقيقـة، ويزعمون أنَّ مَن أقرَّ بها مشبِّهٌ، وهم عند مَن أقرَّ بها نافون للمعبود.

وقـال أبـو عبـد اللـه القرطـبي فـي تفسـيره المشـهور فـي قـوله [illegible]

: هذه المسألة للفقهاء فيها كلام، ثم ذكر أقوال المتكلمين، ثم قال: وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق به في كتابه، وأخبرت به رسلُه، ولم يُنكر أحدٌ من السلف الصالح أنَّه استوى على عرشه حقيقة، وإنَّما جهلوا كيفية الاستواء، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

الوجه الرابع عشر: أنَّ الجهمية لَمَّا قالوا إنَّ الاستواءَ مجازٌ صرَّح أهل السُّنَّة بأنَّه مستوٍ بذاته على عرشه، وأكثرُ مَن صرَّح بذلك أئمَّةُ المالكية، فصرَّح به الإمام أبو محمد بن أبي زيد في ثلاثة مواضع من كتبه، أشهرها الرسالة، وفي كتاب جامع النوادر، وفي كتاب الآداب، فمَن أراد الوقوف على ذلك فهذه كتبه، وصرَّح بذلك القاضي عبد الوهاب، وقال: إنَّه استوى بالذات على العرش، وصرَّح به القاضي أبو بكر الباقلاني وكان مالكيًّا، حكاه عنه القاضي عبد الوهاب نصًّا، وصرَّح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب شرح أسماء الله الحسنى، فقال: ذكر أبو بكر الحضرمي من قول الطبري يعني محمد بن جرير وأبي محمد بن أبي زيد وجماعة من شيوخ الفقه

والحديث، وهو ظاهر كتاب القاضي عبد الوهّاب عن القاضي أبي بكر وأبي الحسن الأشعري، وحكاه القاضي عبد الوهاب عن القاضي أبي بكر نصًّا، وهو أنَّه سبحانه مُستوٍ على عرشِه بذاته، وأطلقوا في بعض الأماكن فوق خلقه.

قال: وهذا قولُ القاضي أبي بكر في تمهيد الأوائل له، وهو قولُ أبي عمر بن عبد البر، والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيّين، وقول الخطّابي في شعار الدِّين.

وقال أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرح رسالة ابن أبي زيد: قوله إنَّه فوق عرشه المجيد بذاته، معنى (فوق) و(على) عند جميع العرب واحدٌ، وفي كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ تصديقُ ذلك، ثمَّ ذكر النصوصَ من الكتاب والسنة واحتجَّ بحديث الجارية وقول النبيِّ ﷺ لها: (أين الله؟) وقولها: (في السماء)، وحكمه بإيمانها، وذَكَر حديثَ الإسراء، ثمَّ قال: وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعةٍ مِمَّن أدرك من التابعين، فيما فهموا من الصحابة فيما فهموا عن نبيِّهم ﷺ: أنَّ اللهَ في السماء بمعنى فوقها وعليها، قال الشيخ أبو محمد: إنَّه بذاته فوق عرشه المجيد، فتبيَّن أنَّ علوَّه على عرشه

وفوقه إنَّما هو بذاته، إلاَّ أنَّه بائنٌ من جميع خلقه بلا كيف، وهو في كلِّ مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، لا تحويه الأماكن؛ لأنَّه أعظمُ منها، إلى أن قال: وقوله: على العرش استوى، إنَّما معناه عند أهل السنَّة على غير معنى الاستيلاء والقهر والغلبة والملك، الذي ظنَّت المعتزلةُ ومَن قال بقولهم أنَّه معنى الاستواء، وبعضُهم يقول إنَّه على المجاز لا على الحقيقة، قال: ويُبيِّن سوءَ تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأوَّلوه من الاستيلاء وغيره، ما قد علمه أهلُ المعقول أنَّه لَم يَزل مستولياً على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرشُ وغيرُه في ذلك سواءً، فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاءٌ وملكٌ وقَهرٌ وغلبةٌ، قال: وذلك أيضاً يبيِّن أنَّه على الحقيقة بقوله ﴿ ﴾، فلمَّا رأى المصنِّفون إفراد ذكره بالاستواء على العرش بعد خلق السموات وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أنَّ الاستواءَ غير الاستيلاء، فأقرُّوا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنَّه على الحقيقة لا على المجاز؛ لأنَّه الصادقُ في قِيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله؛ إذ ليس كمثله

شيء، هذا لفظه في شرحه.

الـوجه الخـامس عشـر: أنَّ الأشـعريَّ حكـى إجماعَ أهل السـنَّة علـى بُطلان تفسـير الاسـتواء بالاستيلاء، ونحن نـذكر لفظَـه بعينـه الـذي حكـاه عنه أبو القاسم بن عساكر في كتاب تـبيين كـذب المفتري، وحكـاه قبلـه أبـو بكـر بـن فَـوْرك وهـو موجودٌ في كتبه، قال في كتاب الإبانة وهـي آخـرُ كتبه قال:

(باب ذكر الاستواء) إن قال قائلٌ: مـا تقولـون في الاستواء، قيل: نقول له: إنَّ اللهَ تعالى مستوٍ على عرشـه، كمـا قـال تعـالى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، وساق الأدلَّةَ علـى ذلـك، ثـمَّ قـال: وقـال قـائلون مـن المعتزلـة والجهميّـة والحروريـة: إنَّ معنـى قـوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ أنَّه اسـتولى ومَلَـكَ وقَهَـر، وجحدوا أن يكون اللهُ على عرشه كما قـال أهـلُ الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القُدرة، ولـو كـان هذا كما قالوا كـان لا فـرق بيـن العـرش والأرض السابعة السُّفلى؛ لأنَّ اللهَ تعالى قـادرٌ علـى كـلِّ شيء، والأرض والسموات وكلّ شيء في العالَم، فلـو كـان اللـهُ مسـتوياً علـى العـرش بمعنـى

الاستيلاء والقدرة لكان مستوياً على الأرض والحشوش والأنْتَان والأقْذار؛ لأنَّه قادرٌ على الأشياء كلِّها ولم نجد أحداً من المسلمين يقول إنَّ اللهَ مستوٍ على الحشوش والأخْلِيَة، فلا يجوزُ أن يكون معنى الاستواء على العرش على معنى هو عام في الأشياء كلِّها، ووَجَبَ أن يكون معنى الاستواء يَختصُّ بالعرش دون سائر الأشياء، وهكذا قال في كتابه الموجَز وغيره من كتبه ».

* * *

الفائدة العاشرة:

التأليف في العقيدة على منهج السلف:

المؤلَّفاتُ في العقيدة على منهج السلف كثيرةٌ جدًّا، منها مؤلَّفات مستقلَّة، ومنها مؤلَّفات تشتملُ على العقائد وغيرها. أمَّا الكتب المشتملة على العقائد وغيرها، فمثل صحيح البخاري، فإنَّه يشتمل على سبعة وتسعين كتاباً، أوَّلُها كتابُ الإيمان، وآخرُها كتابُ التوحيد، وبينهما كتبٌ أخرى، مثل كتاب القدر، وكتابُ الأنبياء، وكتابُ الاعتصام بالكتاب والسنَّة، ومثل صحيح

مسلم ففيه كتابُ الإيمان، وهو أوَّلُ الكتب، وكتاب القدر وغير ذلك، وكذا كتب السنن الأربعة وغيرها، تشتمل على كتب في العقيدة، بعضُها باسم الإيمان، وبعضها باسم السنَّة مثل كتاب السنَّة في سنن أبي داود.

وأمَّا المؤلَّفات المستقلَّة في العقيدة، فتنقسم إلى قسمين:

مؤلَّفات على طريقة المتقدِّمين، ومؤلَّفات على طريقة المتأخِّرين.

أمَّا المؤلَّفات على طريقة المتقدِّمين، فهي تُعنى غالباً بإيراد الأحاديث والآثار مسندة، وفيها أسماء يدخل تحتها عدَّة مسمَّيات، كالإيمان، والسُّنَّة، والردِّ على الجهمية، فمِن المؤلَّفات باسم الإيمان: الإيمان لأبي بكر ابن أبي شيبة، ولأبي عبيد القاسم بن سلام، ولابن أبي عمر العدني، ولابن منده، وغيرها.

ومن المؤلَّفات باسم السنَّة: السنَّة لمحمد بن نصر المروزي، ولابن أبي عاصم، ولعبد الله بن الإمام أحمد، وللاَّلكائي، وللخلال، ولابن شاهين، وأصول السنَّة لابن أبي زمنين، وشرح السنة للمزني وللبربَهاري، والمختار في أصول السنة لابن البنا.

ومن المؤلَّفات باسم الردّ على الجهمية: الـردّ على الجهمية للإمـام أحمـد، ولعثمـان بـن سـعيد الدارمي، ولابن منده.

وهناك مؤلَّفات أخرى، كالتوحيد لابـن خزيمـة، والتوحيد لابن منده، والشريعة للآجـري، والحُجَّـة في بيان المحجّة لإسماعيل الأصـبهاني، وعقيـدة السـلف وأصـحاب الحـديث للصـابوني، وخلـق أفعال العباد للبخـاري، والعـرش لابـن أبـي شـيبة، والقـدر للفريـابي، والعظمـة لأبـي الشـيخ، والرؤيـة والنُزول والصفات كلّها للدارقطني، وتعظيم قدر الصـلاة لمحمـد بـن نصـر المـروزي، والبعـث والنشور لأبي داود، وصفة الجنـة والإمامـة والـرد على الرافضة كلاهما لأبي نعيم، وذم الكلام وأهله للهروي، والإبانة الكبرى لابن بطة.

وللمتقدِّمين والمتـأخِّرين مؤلَّفـاتٌ تشـتمل علـى مسائل العقيدة باختصـار مـن دون أسـانيد، ككتـاب السـنَّة لأحمـد، وعقيـدة أهـل السُّـنَّة والجماعـة للطحاوي، ومقدمة رسالة ابن أبـي زيـد القيروانـي، وصـريح السُّـنَّة لابـن جريـر الطـبري، واعتقـاد أهـل السُّنَّة لأبي بكر الإسماعيلي، والإبانة الصـغرى لابـن بطـة، والإبانـة لأبـي الحسـن الأشـعري، وعقيـدة الحافظ عبد الغني، ولمعة الاعتقـاد والعلـو، كلاهمـا لابـن قدامـة، والعقيـدة الواسـطية والتدمريـة

والحموية كلها لابن تيمية.

وأمَّا المؤلَّفات على طريقة المتأخِّرين، فهي تُعنَى بإيراد الآيات والأحاديث والآثار والردِّ على المخالفين في كلِّ موضوع على حدَة.

وعند ذكر الأحاديث والآثار يعزونها إلى كتب المؤلِّفين المتقدِّمين المسندة، فيُقال: رواه البخاري ومسلم وأبو داود، دون أن يذكروا شيئاً من الأسانيد، مثل الانتصار في الردِّ على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى العمراني، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ومنهاج السنة ودرء تعارض العقل والنقل والإيمان كلّها لابن تيمية، والعلو للذهبي، واجتماع الجيوش الإسلامية وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة كلها لابن القيم، ومختصر الصواعق المرسلة لمحمد بن الموصلي، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرحه تيسير العزيز الحميد لحفيده الشيخ سليمان بن عبد الله، وشرحه فتح المجيد لحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

وما ذكرته من الكتب تمثيل وليس استقصاء.

وأمَّا غَمزُ بعض المبتدعة بعضَ كتب السُّنَّة لاشتمالها على أحاديث ضعيفة أو موضوعة

فمـردودٌ؛ وذلـك أنَّ عـادةَ المحـدِّثين إذا أسـندوا الأحـاديث فقـد أحـالوا المشـتغلين بـالعلم إلـى أسانيدها للنَّظر فيها، وقد ذكر شيخ الإسـلام ابـن تيميـة فـي منهـاج السُّـنَّة (4/15) أنَّ عـادةَ المحدِّثين أنَّهم يروون جميعَ مـا فـي البـاب لأجـل المعرفـة بـذلك، وإن كـان لا يحتـج مـن ذلـك إلاَّ ببعضه، وذكر أيضاً أنَّ المحدِّث يـروي مـا سـمعه كمـا سـمعه والـدَّرك علـى غيـره لا عليـه، وأهـلُ العلم ينظرون فـي ذلـك، وفـي رجـاله وإسـناده، وقـال الحـافظ ابـن حجـر فـي لسـان الميـزان (3/75)ـ ((أكثرُ المحدِّثين فـي الأعصـار الماضـية من سـنة مـائتين وهلـمَّ جـرّا إذا سـاقوا الحـديثَ بإسـناده اعتقـدوا أنَّهـم برئـوا مـن عهـدته، واللـه أعلم)).

نصُّ مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

من طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة

باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات

من ذلك الإيمانُ بـالقلب والنُّطـقُ باللِّسـان أنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شـبيهَ لـه، ولا نَظيـرَ لـه، ولا وَلَـدَ لـه، ولا وَالِـدَ لـه، ولا صـاحبة لـه، ولا شريكَ له.

ليس لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ، لا يَبْلُـغُ كُنْـهَ صِـفَتِهِ الواصـفون، ولاَ يُحيـطُ بـأمرِه المُتَفَكِّرونَ، يَعتَبِرُ المتفَكِّرونَ بآياته، ولا يَتَفكَّرونَ في مَاهِيَةِ[1] ذاتِه، ولا يُحيطون بشـيءٍ مـن عِلمـه إلاَّ بِما شاء وَسِعَ كرْسِـيُّه السَّـموات والأرض، ولا يِؤُودُه حفظُهما وهو العليُّ العَظيمُ.

العـالِمُ[2] الخـبيرُ، المُـدَبِّرُ القَـدِيرُ، السَّـمِيعُ

[1]() في نسخة: (مائية).
[2]() في نسخة: (العليم).

البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ، وَأنَّـه فـوقَ عَرشـه المجيـد بذاته، وهو في كلِّ مَكان بعِلمه.

نظم مقدِّمة الرِّسالة

للشيخ أحمد بن مشرَّف الأحسائي المالكي المتوفى سنة (1285هـ)

نقلاً من ديوانه (ص: 17).

باب ما تعتقدُه القلوب وتنطق به الألسنُ من واجب أمور الديانات

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه

فصلٌ في عذاب القبر وفتنته

فصل في البعث بعد الموت والجزاء

فصل في الإيمان بالحوض

وأنَّ للمصـــــــطفى ما بيـن صَـنْعَا وبُصـرَى
حوضـــاً مســـافتُه هكـــــــذا ذكـــــــرَا
أحلَــى مــن العســل وأنَّ كِيزَانَه مثلُ النجـوم
الصـــافي مـــذاقتُه تُـــــــــــــــــرَى
ولم يَرِدْه سـوى أتبـاع ســـيماهم: أن يُـــرى
سُـــــــــــنَّته التَّحجيـــل والغُـــرَرَا
وكم يُنحَّى ويُنفَى كـلُّ عن وِرْدِه ورجالٌ أحدثوا
مبتـــــــــــدع الغيَـــــــــــرَا
وأن جســـراً علـــى بســـرعة مَـــن لمنهـــاجِ
النِّيـــران يَعبُـــرُه الهُـــــدى عبَـــــرَا
وأنَّ إيْمَانَنـــا شـرعـــاً قصدٌ وقولٌ وفعلٌ للـذي
حقيقتُـــــــــه أمـــــــــــرَا
وأنَّ معصيةَ الرحْمـــن كما يزيد بطاعات الـذي
تُنقصُـــــــــــه شَـــــــــــكَرَا
وأنَّ طاعةَ أولي الأمر من الهُداة نجـوم العلـم
واجبـــــــــــةٌ والأُمـــــــــــرَا
إلاَّ إذا أمـــروا يومـــاً مـــن المعاصـي فيُلغـى
بمعصـــــــــية أمرهـــــم هَـــــدَرَا
وأنَّ أفضـــلَ قـــرن نبيَّنـا وبهـم ديـنُ الهُـدى
للَّذيـــــــــن رأوا نُصـــــــــــرَا

أعنِي الصحابةَ رُهبـانٌ وفي النهار لـدى الهَيْجَـا
بليلهـــــــــــــمُ لُيـــــوث شَـــــرَى
وخيرُهــم مَــن ولِــي والسَّــبق فــي الفضــل
منهـــــم خلافتـــــه للصِّـــدِّيق مـــعْ عُمَـــرَا
والتـــابعون بإحســـان أتباع أتباعهم مِمَّن قفـى
لهـــــم وكـــــذا الأثَـــــــــــــرَا
وواجبٌ ذِكـرُ كـلّ مـن بالخير والكفُّ عمَّا بينهم
صـــــــــحابته شَـــــــــــجَرَا
فلا تَخُـض فـي حـروب عـــن اجتهـــاد وكـــنْ إن
بينهـــــم وقعـــــت خُضـــــتَ معتـــــذِرَا
والاقتـــداءُ بهـــم فـــي فاقتَـد بهـم واتَّبـع الآثـار
الـــــدِّين مفتَـــــرَضٌ والسُّـــــــــــــوَرَا
وتـــركُ مـــا أحـــدثه ضلالة تبعت والـدِّين قـد
المُحـــــدِثون فكـــــم هُجِـــــــــــــرَا
إنَّ الهُـــدى مـــا هـــدى به الكتاب كتاب الله قـد
الهـــادي إليـــه ومـــا أمَـــــــــــــرَا
فلا مـــراء ومـــا فـــي وهل يُجادل إلاَّ كـلُّ مَـن
الـــدِّين مـــن جـــدلِ كفـــــــــــــرَا
فهـــاك فـــي مـــذهب نظماً بديعاً وجيزَ اللَّفظ
الأســـــلاف قافيـــــةً مختصـــــــــــــرَا

يحوي مهمّات باب فـي رسالة ابن أبي زيد الذي
العقيـــــدة مـــــن اشـــــــــــــــتَهَرَا
والحمــد للــه مولانــا غفران ما قلَّ مـن ذنـب
ونســـــــــــــأله ومـــــــا كـــــــثرَا
ثمَّ الصـلاةُ علـى مَـن فأنـــذر الثَّقلَيــن الجــنَّ
عـــــمَّ بعثتـــــه والبَشَـــــــــــــرَا
ودينُــه نَسَــخ الأديــانَ وليــس يُنْسَــخُ مــا دام
أجمَعَهـــــــــــا الصَّـــــفَا وحِـــــرَا
محمـــد خيـــر كـــلِّ ختـم النـبيِّين والرُّسـل
العـــــالَمين بـــــه الكـــــرام جَـــــرَا
وليس من بعده يوحَى ومـن أجـاز فحَـلَّ قتلُـه
إلـــــى أحـــــد هَـــــــــــــدَرَا
والآلُ والصَّـــحبُ مـــا وَرْقَا ومَا غرَّدت قُمْريّــة
ناحت على فنَن سَحَــرَا

* * *

أوَّلُ الشَّــرح

1 ـ قــوله: ((**بــاب مــا تنطــق بــه الألســنةُ وتعتقدُه الأفئدة من واجب أمور الديانات، من ذلك الإيمانُ بالقلب والنُّطقُ باللِّســان أنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شبيهَ لــه، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَــدَ لــه، ولا وَالِــدَ لــه، ولا صاحبةَ له، ولا شريكَ له**)).

عقد ابنُ أبي زيد القيرواني - رحمــه اللــه - هــذا البابَ في مقدِّمة رسالته بـالفقه؛ لأنَّــه لَــم يجعــل التأليف في العقيدة مستقلاًّ، بل أتى به تحت هــذا الباب في مقدِّمة رســالته، فصــارت رســالتُه فــي الفقه، جمعت بين الفقهين: الفقه الأكبر، وهو مــا يتعلَّق بالعقيدة التي لا مجال فيها للاجتهاد، وفقــه الفروع، الذي فيه مجال للاجتهاد.

وما ذكــره مــن التنصــيص علــى قــول اللِّســان واعتقــاد القلــب بيــن يــدي هــذه العقيــدة؛ لأنَّ مــا يُعتقــدُ مطلــوبٌ فيــه أن يكــونَ فــي القلــب، وأن يكــون علــى اللِّســان، ولا يُقــال: إنَّــه لــم يــذكر الأعمالَ، فيُشابه مرجئةَ الفقهاء؛ لأنَّه قد ذكر فــي

هذه المقدِّمة أنَّ الإيمانَ يكون بـالقلب واللِّسـان والعمل.

وكلامُ ابن أبي زيد - رحمه اللـه - هـذا مشـتملٌ على إثبات ألوهية الله وحده، وعلى النفي لأمـور سبعة، هي: نفيُ الإلَهية عن غيره، ونفيُ الشَّـبيه، ونفيُ النَّظير، ونفيُ الولد، ونفيُ الصاحبة، ونفـيُ الشريك.

فقوله: ((أنَّ اللهَ واحدٌ لا إلَه غيره)) مأخوذ من قوله تعالى: [illegible]، وهو مشتملٌ على بيان أنَّ اللهَ وحدَه هو الإلَهُ الحقُّ الذي يجـب أن تُفـرَدَ له العبادة، وأن لا يكون لغيره نصيبٌ منها، ولهـذا الأمر العظيم أرسل اللـهُ الرُّسـلَ وأنـزل الكتـبَ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، فالله خلق الخَلق، وأرسلَ الرُّسلَ، وأنزل الكُتـبَ لأمرهم بعبادته وحده، وتـرك عبـادة غيـره، وهـذا النوع من التوحيد - وهو توحيد الألوهية، وهو إفرادُ

الله بالعبادة ـ هو أحدُ أنواع التوحيد الثلاثـة، الـتي هـي توحيـد الألوهيـة وتوحيـد الربوبيـة وتوحيـد الأسماء والصفات.

فتوحيـد الألوهيـة: توحيـد اللـه بأفعـال العبـاد، كالـدعاء والاسـتغاثة والاستعاذة والذَّبـح والنَّـذر، وغيرها من أنواع العبادة، كلُّها يَجـب علـى العبـاد أن يَخصُّوا الله تعالى بهـا، وأن لا يجعلـوا لـه فيهـا شريكاً.

وتوحيـد الربوبيـة: هـو توحيـد اللـه بأفعـاله، كالخَلق والرَّزق والإحياء والإماتـة والتصـرُّف فـي الكون، وغير ذلك من أفعال الله التي هو مختـصٌّ بها، لا شريك له فيها.

وتوحيدُ الأسماء والصفات: هو إثبـاتُ مـا أثبتـه اللـهُ لنفسـه وأثبتـه لـه رسـولُه ﷺ مـن الأسـماء والصفات على وجه يليقُ بكمال الله وجلاله، مـن غير تمثيل أو تكييف، ومن غير تحريف أو تعطيل.

وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عُرف بالاسـتقراء من نصوص الكتـاب والسُّـنَّة، ويتَّضـح ذلـك بـأوَّل سورة في القرآن، وآخر سـورة؛ فـإنَّ كلاًّ منهمـا مشتملةٌ على أنواع التوحيد الثلاثة.

فأمَّا سـورة الفاتحـة، فـإنَّ الآيـةَ الأولـى فيهـا،

وهي: ﴿ [illegible] ﴾ مشتملةٌ على هـذه الأنـواع؛ فـإنَّ ﴿ [illegible] ﴾ فيهـا تـوحيـد الألوهية؛ لأنَّ إضافةَ الحمد إليه من العباد عبـادةٌ، وفـي قـوله: ﴿ [illegible] ﴾ إثبات توحيـد الربوبيَّة، وهو كون اللـه عـزَّ وجـلَّ ربَّ العـالمين، والعالَمون هم كلُّ مَن سوى الله؛ فإنَّه ليـس فـي الوجود إلاَّ خالقٌ ومخلوق، والله الخالقُ، وكلُّ مَن سواه مخلوق، ومن أسماء الله الرب.

وقـوله: ﴿ [illegible] ﴾ مشتملٌ علـى توحيـد الأسـماء والصـفات، والرحمـن الرحيـم اسمان مـن أسـماء اللـه يـدُلاَّن علـى صـفة مـن صـفات اللـه، وهـي الرَّحمـة، وأسـماءُ اللـه كلُّهـا مشتقَّةٌ، وليس فيها اسم جامـد، وكـلُّ اسـم مـن الأسماء يدلُّ على صفة من صفاته.

و﴿ [illegible] ﴾ فيـه إثبـات توحيـد الربوبيَّة، وهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة، وإنَّمـا خصَّ يوم الدِّين بأنَّ اللـهَ مـالكُه؛ لأنَّ ذلـك اليـوم يخضعُ فيه الجميعُ لـربِّ العـالَمين، بخلاف الـدنيا، فإنَّه وُجد فيها من عتا وتَجبَّر، وقال: ﴿ [illegible] ﴾.

وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ فيه

إثبـاتُ توحيـد الألوهيـة، وتقـديمُ المفعـول وهـو ﴿ ﴾ يُفيد الحصـرَ، والمعنـى: نخصُّـكَ بالعبـادة والاستعانة، ولا نشرك معك أحداً.

وقوله: ﴿ ﴾ فيه إثبات توحيـد الألوهيـة؛ فـإنَّ طلبَ الهداية من الله دعاءٌ، وقد قال رسول اللــه ﷺ: ((الدعاءُ هو العبادة))، فيسأل العبدُ ربَّــه فــي هـذا الـدعاء أن يَهـديَه الصـرطَ المسـتقيمَ الـذي سلكه النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالِحون، الذين هم أهل التوحيد، ويسـأله أن يُجنِّبَـه طريـقَ المغضـوب عليهـم والضـالِّين، الـذين لَـم يحصـل منهـم التوحيـدُ، بـل حصـل منهـم الشِّـركُ بـالله وعبادةُ غيره معه.

وأمَّا سورة الناس، فقـوله: ﴿ ﴾ فيه إثبـاتُ أنـواع التوحيـد الثلاثـة؛ فـإنَّ الاستعاذةَ بالله من توحيد الألوهيَّة.

و﴿ ﴾ فيــه إثبــات توحيــد الربوبيَّــة وتوحيد الأسماء والصفات، وهو مثل قول الله عزَّ وجلَّ في أول الفاتحة: ﴿ ﴾.

وقـوله: ﴿ ﴾ فيـه إثبـاتُ الربوبيَّـة والأسماء والصفات.

و﴿ ﴾ فيه إثبات الألوهيـة والأسـماء والصفات.

والنسبةُ بين أنواع التوحيد الثلاثة هذه أن يُقال: إنَّ توحيـدَ الربوبيَّـة وتوحيـدَ الأسـماء والصـفات مسـتلزمان لتوحيـد الألوهيـة، وتوحيـد الألوهيَّـة متضمِّنٌ لهما، والمعنى أنَّ مَن أقرَّ بالألوهيَّة فـإنَّه يكـونُ مُقـرًّا بتوحيـد الربوبيَّـة وبتوحيـد الأسـماء والصفات؛ لأنَّ مَن أقرَّ بأنَّ اللهَ هو المعبودُ وحده فخصَّه بالعبادة ولم يجعل له شريكاً فيها، لا يكون منكـراً بـأنَّ اللـهَ هـو الخـالقُ الـرازقُ المُحيـي المميـتُ، وأنَّ لـه الأسـماء الحسـنى والصـفات العُلَى.

وأمَّا مَن أقرَّ بتوحيد الربوبيَّـة وتوحيـد الأسـماء والصفات، فـإنَّه يلزمـه أن يُقـرَّ بتوحيـد الألوهيَّـة، وقد أقرَّ الكفَّارُ الذين بُعث فيهـم رسـول اللـه ﷺ بتوحيد الربُوبيَّـة، فلَـم يُـدخلهم هـذا الإقـرارُ فـي الإسـلام، بـل قـاتَلَهم حـتى يَعبـدوا اللـهَ وحـده لا شريك له، ولهذا يـأتي كـثيراً فـي القـرآن تقريرُ توحيـد الربوبيَّـة الـذي أقـرَّ بـه الكفَّـارُ؛ لإلزامهـم

بالإقرار بتوحيد الألوهيَّـة، ومـن أمثلـة ذلـك قـول الله عـزَّ وجـلَّ: [illegible].

ففـي كـلِّ آيـة مـن هـذه الآيـات تقريـرُ توحيـد الربوبيَّة للإلزام بتوحيد الألوهيَّة، فيقـول فـي كـلِّ آية من هذه الآيات الخمـس عقـب تقريـر توحيـد الربوبيَّة: [illegible]، والمعنى أنَّ مَن تفرَّد

بهذه الأفعـال الـتي هـي مـن أفعـال اللـه وحـده، يجـبُ أن يُخـصَّ بالعبـادة وحـده؛ لأنَّ مَـن اختـصَّ بالخلْق والإيجاد وغيرها من أفعـال اللـه يَجـب أن يُخـصَّ بالعبـادة وحـده، وكيـف يُعقـل أن تكـون المخلوقات التي كانت عَدَماً، وقـد أوجـدَها اللـه، كيف يُعقل أن يكون لها نصيبٌ من العبـادة وهـي مخلوقةٌ لله؟!

ثمَّ إنَّه لا بدَّ لقبول العبادة والعمل الصـالح مـن توفُّر شرطين:

أحدهما: أن يكون العملُ لله خالصـاً، والثـاني: أن يكون لسُنَّة نبيِّه ﷺ موافقاً.

فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، ولا بدَّ من تجريد المتابعة للنَّبِـيِّ ﷺ، فلـو وُجـد العمـلُ مبنيًّـا على سُـنَّة وفُقـد فيـه شـرطُ الإخلاص لـم يُقبَـل؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، ولو وُجد العملُ خالصاً لله لكنَّه لَم يُبْنَ على سُـنَّة، بـل بُنِـيَ علـى البدع والمحدثات فإنَّه مردودٌ على صاحبه؛ لقوله ﷺ في الحديث المتَّفق علـى صـحَّته عـن عائشـة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قـال: ((مَـن أحـدث في أمرنا هذا ما ليس منـه فهـو ردٌّ))، وفـي لفـظ

لمسلم: « من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ »، أي: مردودٌ عليه غير مقبول منه.

ولا يُقال: إنَّ العملَ إذا كان خالصاً لله، ولم يكن مبنيًّا على سُنَّة، وكان قَصدُ صاحبه حسناً أنَّه محمودٌ ونافعٌ لصاحبه، ومِمَّا يدلُّ على ذلك أنَّ الرَّسولَ الكريم ﷺ قال للصحابيِّ الذي ذبح أُضحيتَه قبل صلاة العيد: « شاتُك شاةُ لَحم »، فلَم يعتبرها رسول الله ﷺ أُضحيةً؛ لأنَّها ذُبحَت قبل ابتداء وقت الذَّبح الذي يبدأ بعد صلاة العيد، والحديثُ أخرجه البخاري (5556)، ومسلم (1961)، وقد قال الحافظ في شرحه في الفتح (10/17): « قال الشيخ أبو محمد بن أبي جَمرة: وفيه أنَّ العملَ وإن وافق نيَّةً حسنةً لَم يصحَّ، إلاَّ إذا وقع على وفق الشَّرع ».

وفي سنن الدارمي (1/68 ـ 69) أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقف على أناس في المسجد مُتحلِّقين وبأيديهم حصًى، يقول أحدهم: كبِّروا مائة، فيُكبِّرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة، فيُهلِّلون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة، فيُسبِّحون مائة، فقال: « ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيحَ، قال: فعُدوا سيِّئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا

يَضيعَ من حسناتكم شيءٌ، وَيْحَكم يا أمّـة محمـد! مـا أسـرع هلكتكـم! هـؤلاء صـحابةُ نـبيِّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُه لم تَبْلَ، وآنيتُـه لـم تُكسـر، والذي نفسي بيده إنَّكم لَعلَى مِلَّةٍ هي أهـدى مـن مِلَّـة محمـد ﷺ أو مفتتحـو بـاب ضـلالة؟! قـالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخيـر، قـال: وكم من مريد للخير لن يصيبه ». وهذا الأثر أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم:2005).

وقول ابن أبي زيد رحمـه اللـه: « أنَّ اللـه إلـه واحد لا إله غيره » هو معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلاَّ الله)، وهي مشـتملةٌ علـى نفـي عـام وإثبـات خاص، فالنَّفيُ العـام نفـيُ العبـادة عـن كـلِّ مَـن سوى اللـه، والإثبـاتُ الخـاص إثباتُهـا للـه وحـده، و(لا) نافيـةٌ للجنـس، وخبرهـا محـذوفٌ تقـديرُه: حقٌّ، والمقصودُ نفيُ وجود إله بحـق سـوى اللـه، وإلاَّ فإنَّ الآلهةَ بالباطل موجودةٌ وكثيرةٌ، وقد ذكر اللـه عـن الكفـار أنَّهـم قـالوا: [illegible].

والجملةُ الأولَـى مـن جُمـل النفـي السَّـبع فـي كلام ابن أبـي زيـد « لا إلـه غيـره » تأكيـدٌ لقـوله: « أنَّ الله إلهٌ واحدٌ »، وختمها بقوله: « ولا شريك له »؛ لبيان أنَّ العبادةَ يجب أن تكون خالصةً للـه،

وألاَّ يكـون لـه شـريكٌ فـي أيِّ نـوع مـن أنـواع العبادة، والله تعالى واحدٌ في ربوبيَّته، وواحدٌ في ألوهيَّته، وواحدٌ في أسمائه وصفاته، فلَم يُشاركه أحدٌ في ألوهيَّته؛ فهو مسـتحقٌّ للعبـادة دون مَـن سواه، ولم يُشاركه أحدٌ في ربوبيَّته، فهو سبحانه وحـده الخـالقُ المـدبِّر، ولـم يُشـاركه أحـد فـي أسـمائه وصـفاته؛ لأنَّ المعـانِيَ اللاَّئقـة بـالله لا يُشاركه أحدٌ من خلقه فيها.

وقوله: ((ولا شبيه له ولا نظير)) أي: أنَّ الله لا مِثْلَ له ولا يُشبهه أحدٌ من خلقه، بل هـو المتفـرِّدُ بصفاته، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾ ﴿ [illegible] ﴾، قال ابـن كـثير رحمـه الله: ((أي ليس كخالق الأزواج كلِّهـا شـيء؛ لأنَّـه الفردُ الصمد الذي لا نظير له)).

وهذه الآيةُ أصلٌ فـي عقيـدة أهـل السُّـنَّة فـي الأسـماء والصـفات، وهـي الإثبـات مـع التنْزيـه، بخلاف المشبِّهة، فإنَّ عندهم الإثبات مع التشبيه، وبخلاف المعطِّلـة، فـإنَّ عنـدهم التنْزيـه مـع التعطيل، وأهل السُّـنَّة أثبتـوا الصـفات، ونَزَّهوهـا عن مشابهة المخلوقات.

وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ إثباتٌ لاسْمَي السَّميع والبصير، وهما يدلاَّن علـى إثبـات صـفتَي

السَّمع والبصر.

وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ يدلُّ على التنْزيه، أي: أنَّه له سمعٌ لا كالأسماع، وبصرٌ لا كالأبصار.

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾، قال ابن كثير رحمه الله: ((قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هل تعلمُ للرَّبِّ مثلاً أو شبيهاً، وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جُبير وقتادة وابن جريج وغيرُهم)).

وقال الله تعالَى: ﴿ [illegible] ﴾، والكفو هو المِثلُ والنَّظير، قال القرطبيُّ في تفسيره (20/246): ((لم يكن له شبيهٌ ولا عدل، ليس كمثله شيء)).

وكلمة ﴿ [illegible] ﴾ جاءت في سياق النفي، فتكون عامةً في نفي كلِّ شبيه أو مثيل، وما جاء في تفسير ابن كثير من تفسير هذه الكلمة بالزَّوجة هو من قبيل التفسير بالمثال، وهذه الجملة من السورة مؤكِّدةٌ لِما تقدَّم من الجُمل، ولا سيما الجملة الأولى، فهو سبحانه وتعالى أحدٌ، ولا يكون أحدٌ كفواً له.

وقوله: ((ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ له، ولا صاحبةَ له

)) الصاحبةُ هي الزوجة، وقد جاء في القرآن نفـي الولد والوالد والصاحبة عن اللـه عـزَّ وجـلَّ، قـال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾

﴿ ﴾، فنفى عنه الوالد والولـد، ونفـى عنـه كـلَّ مِثْـلٍ ونظير، ومنه الزوجة، وفي هذه السورة الكريمـة إثباتُ أحديَّته وصمديَّته، ونفـيُ الأصـول والفـروع والنظراء عنه، فهو أحدٌ لا كُفء له، وهـو صَـمَدٌ لا ولد ولا والـد لـه، والصَّـمدُ هـو الـذي تصـمد إليـه الخلائق بحوائجها، وهو الغنِيُّ عن كلِّ مَن سـواه، المفتقرُ إليه كلُّ مَن عَدَاه، فلكمال غناه لا يحتـاجُ إلى الوالد والولـد، ولكـونه واحـداً أحـداً لا يكـون أحدٌ له مِثْلاً ونظيراً، والوالد جاء نفيُه في القـرآن عن الله في هذه السورة في قوله: ﴿ ﴾، وأمَّا الولد فقـد جـاء نفيُـه عـن اللـه فـي آيـات كـثيرة، وذلـك أنَّ اليهـودَ يقولـون: عُزيـرٌ ابـنُ اللـه، والنصـارى يقولون: المسيح ابن اللـه، والكفـار الـذين بُعـث فيهم رسول الله ﷺ يقولون: الملائكةُ بنات اللـه، ومـن ذلـك قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ فـي البقـرة: ﴿

[illegible]، وقال في المؤمنون: [illegible]، وقال في مريم: [illegible]، وغير ذلك من الآيات منها في النســاء والأنعــام والتوبــة ويــونس والإســراء والكهــف والأنبيــاء والصافات والزخرف والجنّ.

وأمَّا الصاحبة، فقد جاء نفيُها عن الله عزَّ وجــلَّ في القرآن مع نفي الولد عنه في قوله عزَّ وجــلَّ: [illegible]، وقوله عــن الجــنِّ: [illegible] ، أي: تعالَت عظمتُه.

وما جاء في كلام ابن أبي زيد - رحمه الله - من نفي الشبيه والنظير والوالد والولد والصاحبة هــو نفــيٌ علــى طريقــة السَّــلف، وهــو نفــيٌ متضــمِّنٌ إثبات كمال الله عزَّ وجلَّ، فنفيُ الشــبيه والنظيــر متضمّنٌ إثبات كمال أحديَّته، ونفيُ الوالــد والولــد والصاحبة متضمِّنٌ إثبات كمال غناه، وكلُّ ما جــاء في القرآن من نفي شيء عن اللــه فــإنَّه يتضــمَّن

إثبات كمال ضدِّ ذلك المنفي، مثـل قـوله: [illegible]، فإنَّه دالٌّ على إثبات كمال قُدرته، وكذا قـوله: [illegible] ، أي: من تعب، فهو متضمِّنٌ إثبات كمال قدرته، ومثل قوله: [illegible] ، وهو دالٌّ على إثبات كمال عدله، وقوله: [illegible]، فهو دالٌّ على إثبات كمال علمه.

وهذا بخلاف النفي عند أهل الكلام، فإنَّه لا يدلُّ على كمال، بل يُؤدِّي إلـى تشـبيه اللـه عـزَّ وجـلَّ بالمعدومات، كما سبق إيضـاحُ ذلـك فـي الفائـدة الثانية.

* * *

2 ـ قـــوله: ((**ليـــس لأَوَّلِيَّتِـــهِ ابتـــداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ**)).

كلام ابن أبي زيد هذا منتَزَعٌ من قول اللـه عـزَّ وجلَّ: [illegible]، وفي هذه الآية إثبـات

اسم (الأوَّل) لله عزَّ وجلَّ، الذي يدلُّ على أنَّ كلَّ شيء آيلٌ إليه، واسم (الآخـر) الـدالُّ علـى بقـائه ودوامه وآخريته، وقد جـاء تفسـير هـذه الأسـماء في هـذه الآيـة فـي حـديث مشـتمل علـى دعـاء، وفيـه: « اللَّهـمَّ أنـت الأول فليـس قبلـك شـيء، وأنتَ الآخـر فليـس بعـدك شـيء، وأنـت الظـاهر فليس فوقك شيء، وأنـتَ البـاطن فليـس دونـك شيء، اقْضِ عنَّا الدَّينَ وأغننا من الفقـر » أخرجـه مسـلم فـي صـحيحه (2713) مـن حـديث أبـي هريرة ﵁.

ومعنى قول ابن أبي زيد هذا أنَّ الله لم يسبقه عدمٌ، ولا يلحقه عدم، وأمَّا المخلوقات فلها بدايـة سبقها عدم، ولها نهاية يلحقها عدم.

وأمَّا ما جاء فـي نصـوص الكتـاب والسُّـنَّة مـن بقاء الجنَّة والنار ودوامهمـا ودوام أهلهمـا فيهمـا، فلا يُنافي كونه سـبحانه الآخـرَ الـذي ليـس بعـده شيء؛ لأنَّ بقاءَه لازمٌ لذاته، بخلاف الجنَّـة والنـار ومَن فيهما، فإنَّه مكتَسَبٌ قد شـاءه اللـه وأراده، ولو لم يشأه لم يحصل ولـم يقـع، قـال ابـن أبـي العـز الحنفـي فـي شـرح الطحاويـة (ص:629): « وبقاءُ الجنَّة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقـاء اللـه لهما ».

وقول ابن أبي زيد : « ليس لأَوَّلِيَّتِـهِ ابتـداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ » أولَى مـن قـول الطحـاوي فـي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعـة: « قـديمٌ بلا ابتـداء، دائمٌ بلا انتهاء »؛ لتعبيره بما يُطـابق اسْـمَي اللـه: الأول والآخر.

* * *

3 ـ قوله: « **لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِـفَتِهِ الواصـفون، ولاَ يُحيِــطُ بــأمرِه المُتَفَكِّــرونَ، يَعتَبِــرُ المتفَكِّــرونَ بآيــاته، ولا يَتَفكَّــرونَ فــي مَاهِيَةِ ذاتِه** ».

أهل السُّنَّة يَصفون اللهَ بما وصف به نفسَــه أو وصفه به رسـوله ﷺ، علـى مـا يليـق بـه سـبحانه وتعالى، مع فهـم المعنـى والجهـل بـالكيف، فهُـم يُثبتـون الصـفات ولا يَبحثـون عـن كيفياتهـا، وهـم مفوِّضــةٌ بــالكيف دون المعنــى، كمــا جــاء ذلــك واضحاً في الأثر المشهور عن مالك ـ رحمه الله ـ عنــدما سُــئل عــن كيفيــة الاســتواء، فقــال: « الاستواءُ معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمـان بـه واجب، والسؤال عنه بدعة ».

ومعنى كلام ابن أبي زيد أنَّه لا يستطيع أحدٌ أن يصف اللهَ بما هو عليه، بأن يعرفَ كيفيـةَ اتِّصـافه

بالصفات؛ لأنَّ ذلك من الغيـب الـذي لا يعلمـه إلاَّ هو.

وقوله: ((ولا يحيـط بـأمره المتفكِّـرون))، أمـرُ الله منه ما هو كـونيٌّ قَـدَري، ومنـه مـا هـو دينِـيٌّ شرعي، فالكونيُّ مثل قول الله عزَّ وجلَّ [illegible]، والشرعيُّ مثل قوله: [illegible].

وكـلٌّ مـن الأمـر الكـونيِّ والأمـر الشـرعي مشتملٌ على حكمة، فما قدَّره الله فلحكمة، ومـا شرعه الله فلحكمة، وقد يعلـم العبـادُ شـيئاً مـن الحكم في الأمر الكوني القَدري والأمر الشرعي، ولكنَّهم لا يحيطون بحِكَم الله في خلقه وشرعه،؛ فإنَّ الواجبَ الإيمـانُ بالقـدر، والاستسـلامُ للأمـر والنهـي، سـواء عـرف العبـادُ حِكَـم ذلـك أم لَـم يعرفوها.

ولكنَّهم إذا عرفوا شـيئاً مـن ذلـك زاد إيمـانُهم ويقينُهـم، وإذا لـم يعرفـوا الحكمـةَ فـي القـدر والشرع فـإنَّ ذلـك لا يثنيهـم عـن القيـام بمـا هـو واجبٌ عليهم من الإيمان بالقدر والانقياد للأحكام الشرعية.

والذي اشتمل عليه كلامُ ابن أبـي زيـد - رحمـه اللـه - نفـيُ الإحاطـة بـالحِكَم والأسـرار؛ لتعـبيره بقوله: « المتفكِّـرون » وليـس المقصـود معرفـة الأحكام الشرعية؛ فإنَّ ذلـك مطلـوبٌ فيـه العلـم والعمل؛ لقوله ﷺ في الحديث: « ما نهيتُكـم عنـه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » أخرجه البخاري (7288)، ومسلم (1327).

وقوله: « يعتـبرُ المتفكِّـرون فـي آيـاته » آيـاتُ الله نوعـان: شـرعية وكونيـة، فالآيـاتُ الشـرعية هي التي اشتمل عليهـا القـرآن الكريـم، والآيـات الكونية آياته في خلقه كالليل والنهـار، والشـمس والقمر وغير ذلك، ويدلُّ للاعتبار بالآيات الشرعية قول الله عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـــوله: [illegible]، وقـــوله: [illegible].

ويدلُّ للاعتبـار بالآيـات الكونيـة قـول اللـه عـزَّ وجلَّ: [illegible]

، وقـــــــــــــوله:

،

وقوله:

[illegible]

[illegible]، وقــوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]

[illegible].

وقوله: « ولا يتفكَّرون في ماهية ذاته » الله عزَّ وجلَّ بذاته وصفاته الخـالق، ومـا سـواه مخلـوق، وقـد مـرَّ فـي كلام ابـن أبـي زيـد - رحمـه اللـه - التفويضُ لكيفية الصفات، وأنَّه لا يبلغ كُنْـهَ صـفته الواصفون، وكما أنَّـه لا يجـوز البحـثُ فـي كيفيـة الصفات، فكذلك لا يجوزُ البحثُ في كيفية الذات، ولهذا قال هنا: « ولا يتفكَّـرون فـي ماهيـة ذاتـه » أي حقيقتها والكيفية التي هي عليها.

* * *

4 ـ قوله: ((**ولا يُحيطون بشيءٍ مـن عِلمـه إلاَّ بِمــا شــاء وَسِــعَ كرْسِــيُّه السَّــموات والأَرض، ولا يِؤُودُه حفظُهما وهــو العلــيُّ العَظيمُ**)).

هـذه الجمـل الأربـع قطعـةٌ مـن آيـة الكرسـي المشتملة على عشر جمل، ومثلها في الاشـتمال على عشر جمل قول اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible] ، نبَّه على ذلك ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره هذه الآية من سورة الشورى.

قوله: ((ولا يحيطون بشـيء مـن علمـه إلاَّ بما شاء)) من صفات اللـه عـزَّ وجـلَّ العلـم، وعلمُـه محيـطٌ بكـلِّ شـيء، كمـا قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، أمَّا المخلوقون فلا يعلمون من علمه إلاَّ ما علَّمهم إيَّاه، كمـا قـال: [illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible] وأخبر اللـه عـن نـبيِّه نـوح عليـه الصـلاة والسلام أنَّه قال: [illegible]، وأمر الله نـبيَّه محمـداً ﷺ أن يُخـبر قـومَه أنَّـه لا يعلـم الغيبَ، فقال: [illegible]، وقال: [illegible].

وأخبر الله عن الملائكة أنَّهم: [illegible] ، وقال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال الله عن الجنِّ: [illegible]، وقال: [illegible].

وأمَّا السُّنَّة فقد جاء فيها أحاديث كثيرة تدلُّ على بيان أمور لا يعلمها الرسول ﷺ، مثل قصَّة الإفك، فإنَّه لَم يَعلَم براءةَ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلاَّ بعد نزول القرآن في براءتها في آيات تُتلَى في سورة النور، ومثل قصة العِقْد الذي فقدته عائشةُ رضي الله عنها في إحدى سفراتها مع النَّبِيِّ ﷺ، وقد بقوا في منْزلهم للبحث عنه، وانتهى ماؤهم، فأنزل الله إليه آيةَ التيمُّم، وعند رحيلهم وُجد العِقْدُ تحت الجمل الذي تركب عليه عائشة.

قال ابن كثير عند تفسير آية الكرسي: ((وقوله [illegible] أي: لا يطَّلع أحدٌ من علم الله على شيء إلاَّ بما أعلمَه الله عزَّ وجلَّ وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلاَّ بما أطلعهم الله عليه، كقوله: [illegible])).

وقوله: ((وسع كرسيه السموات والأرض)) الكرسيُّ مخلوقٌ من مخلوقات الله، وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه موضع القَدَمين، كما في المستدرك للحاكم (2/282)، وقال:

« إنَّه على شرط الشيخين ولم يخرجاه »، ولم يتعقبه الذهبي، وفي إسناده عمَّار الدُّهْنِي، وهو من رجال مسلم دون البخاري.

وانظر تخريجه في السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني (906)، والضعيف فيه هو المرفوع، وأمَّا الأثر الذي جاء عن ابن عباس من تفسير الكرسي بالعلم، ففي إسناده جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال فيه الحافظ في التقريب: « صدوق يهم »، وقال ابن منده في كتاب الرد على الجهمية (ص:45):ـ « لم يُتابَع عليه جعفر، وليس بالقوي في سعيد بن جُبَير »، وأورده الذهبي في ترجمة جعفر في الميزان (1/417) وقال: « وذكره ابن أبي حاتم وما نقل توثيقه، بل سكت »، ونقل ما تقدَّم عن ابن منده.

وقال الطحاوي في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: « والعرشُ والكرسيُّ حقٌّ ».

وقوله: « ولا يؤودُه حفظهما » أي: لا يثقله ولا يشقُّ عليه، وهو نفيٌ متضمِّنٌ إثبات كمال قدرته، قال ابن كثير في تفسيره: « أي: لا يثقله ولا يكترثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن

بينهما، بل ذلك سَهلٌ عليه يسيرٌ لديه ».

وقـوله: « وهـو العلـيُّ العظيـم » اسـمان مـن أسماء الله يدلاَّن على صفتَين مـن صـفات اللـه، وهما العلوُّ والعظمة، والله تعالى متَّصـفٌ بـالعلوِّ بأنواعه الثلاثـة: علـوُّ القـدر، وعلـوُّ القهـر، وعلـوُّ الـذات، وقـد جـاء اسـم اللـه العلـيّ فـي القـرآن مقترنـاً بثلاثـة مـن أسـماء اللـه، وهـي العظيـم، والحكيم، والكبير مع تقدُّمه عليها في الذِّكر.

فاقترانُه بـالعظيم كمـا هنـا، وفـي أوَّل سـورة الشورى.

واقترانه بالكبير كما في سـورة النسـاء: [illegible] ، وفـي سـورتَي الحـج ولقمان: [illegible].

واقترانه بالحكيم كما في آخر سورة الشورى: [illegible].

* * *

5 ـ قوله: « **العالِمُ الخبيرُ، المُـدَبِّرُ القَـدِيرُ، السَّمِيعُ البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ** ».

العليم الخبير اسـمان مـن أسـماء اللـه يـدلاَّن على صفتَي العلم والخـبرة، وهمـا متقاربـان فـي المعنى، وجاء في بعض النُّسـخ: « العليـم » بـدل

((العـــالِم))، و((العليم)) أولَى لأمرين:

الأول: أنَّ ((العليـم)) جـاء فـي القـرآن كـثيراً مطلقـــــــاً غيـــــــر مقيَّـــــــد، وأمَّـــــــا ((العالِم)) فيأتي في القرآن مقيَّـداً بعلـم الغيـب، كقـــــــــوله تعـــــــــالى: [illegible] ، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

والثاني: أنَّـه يـأتي فـي القـرآن كـثيراً اقـترانُ اسم ((العليم)) باسم ((الخـبير)) مـع تقـدُّم اسـم ((العليم)) كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] ، وقال: [illegible].

وقـوله: ((المـدبِّرُ القـدير)) القـدير اسـمٌ مـن أسماء الله يدلُّ على صفة من صفات الله، وهـي القدرة، قال الله عزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقدرة الله عامَّةٌ لكلِّ شيء، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible] وقال: [illegible]، وقال: [illegible].

وأمَّا المُدبِّرُ فلا أعلمُ ما يدلُّ على أنَّه من أسماء الله، وقد جاء وصفُ الله تعالى بالتدبير، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، والله سبحانه وتعالى المُدبِّر للأمر المتصرِّف في الكون كيف يشاء، لا إله إلاَّ هو.

وقوله: « السميع البصير » السميع البصير اسمان من أسماء الله يدلاَّن على صفتَين من صفات الله، وهما السَّمع والبصر، وسَمعُ الله محيطٌ بكلِّ المسموعات، وبصرُه محيطٌ بكلِّ المرئيات، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

وفي هذه الآية الكريمة الجمعُ في وصـف اللـه بالسَّمع بين الفعل الماضـي والمضـارع والاسـم، وهذان الاسمان يأتيان مقروناً بينهما في كثير من آيات القرآن، كقوله: [illegible]

[illegible]:

[illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

وقوله: ((العليُّ الكبير)) العليُّ والكبير اسـمان من أسماء الله يدلاَّن على صـفتَي العلـوِّ والكِبَـر، والله تعـالى عـالٍ علـى كـلِّ شـيء قهـراً وقـدْراً وذاتاً، وهو أكـبرُ مـن كـلِّ كـبير وأعظـمُ مـن كـلِّ عظيم، والمخلوقات كلُّها حقيرةٌ أمام كبرياء اللـه وعظمته سبحانه وتعالى.

وقد مرَّ قريباً أنَّ اسمَ العليِّ يأتي مقترناً باسم الكبير، ومرَّ ذكـر بعـضُ الآيـات فـي ذلـك، ومنهـا أيضاً قول الله عـزَّ وجـلَّ: [illegible]

[illegible]

[illegible].

* * *

6 ـ قوله: ((**وَأنَّه فوقَ عَرشه المجيد بذاته، وهو في كلِّ مَكان بعِلمه**)).

لَمَّا ذكر ابن أبي زيد - رحمه الله - أنَّ من أسماء الله العليّ، وقد ذكره قريباً مقترناً باسم العظيم، وباسم الكبير، بيَّن في هذا أنَّ علوَّ الله عزَّ وجلَّ وفوقيَّتَه على عرشه أنَّه علوٌّ بالذَّات، كما أنَّه عليٌّ بالقدر وعليٌّ بالقهر، وإنَّما نصَّ على علوِّه على عرشه بذاته لمَّا وُجد من يقول: إنَّ علوَّ الله علوُّ قدرٍ وعلوُّ قهرٍ، وأوَّلَ علوَّه على عرشه باستيلائه عليه، وأنَّه ليس على العرش حقيقةً بذاته، فعبَّر بعلوِّ الذَّات ردًّا على من قال: إنَّه علوٌّ مجازيٌّ وليس بحقيقيّ، وهذا نظيرُ قولِ السَّلف عن القرآن إنَّه غيرُ مخلوقٍ لمَّا وُجد من يقول: إنَّه مخلوقٌ.

وأمَّا قوله: ((وهو في كلِّ مكانٍ بعلمه)) فهو لنفي القولِ بالحلول والاتِّحاد، وهو أنَّ اللهَ حالٌّ في المخلوقات، متَّحدٌ معها، مختلِطٌ بها؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ الخالقُ، وكلُّ ما سواه مخلوقٌ،

والمخلوقـاتُ كلُّهـا كـانت عـدماً فأوجـدها اللـهُ، ووُجودُها مبايِنٌ لوجودِ الله، وهو سـبحانه وتعـالى بائنٌ من خلقه، ليست المخلوقاتُ حالَّةً في اللـه، ولا الخالقُ حالاًّ في المخلوقات.

ومعيَّةُ الله فُسِّرتْ بأنَّها معيَّةٌ بالعلم، كمـا قـال ابنُ أبي زيد القيرواني هنا، قال اللـهُ عـزَّ وجـلَّ: ﴿ [illegible] فقـد بُـدئت هـذه الآيـةُ بالعلم، وخُتمت بالعلم.

وفُسِّرتْ بأنَّها معيَّةٌ حقيقيَّـةٌ، والمعنـى أنَّ اللـهَ فوق عرشه بذاته، وهو مـع خلقـه دون امـتزاجٍ أو اختلاطٍ؛ فـإنَّ المخلوقـاتِ صـغيرةٌ حقيـرةٌ أمـام عظمة الله وكبريـائه، واللـهُ عـزَّ وجـلَّ مـع كـونه فوق عرشه، فهـو قريـبٌ مـن عبـاده، قـال شـيخُ الإسلام ابن تيميـة فـي الواسـطيَّة: « وقـد دخـل فيما ذكرناه من الإيمـان بـالله الإيمـانُ بمـا أخـبر اللهُ به في كتـابه وتـواتر عـن رسـوله ﷺ وأجمـع

عليه سلفُ الأمَّة، مِن أنَّه سبحانه فـوق سـماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهـم أينما كانوا، يعلم ما هـم عـاملون، كمـا جمـع بيـن ذلـك فـي قـوله: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وليس معنـــــــى قـــــــوله: [illegible] أنَّه مختلطٌ بـالخَلْق، فـإنَّ هـذا لا تـوجبُه اللُّغـة، وهـو خلاف مـا أجمـع عليـه سـلفُ الأمَّة، وخلاف ما فَطَرَ الله عليه الخلقَ، بل القمر آيـةٌ مـن آيـات اللـه، مـن أصـغر مخلوقـاته، وهـو موضـوعٌ فـي السـماء، وهـو مـع المسـافر وغيـر المسافر أينما كان، وهـو سـبحانه فـوق العـرش، رقيبٌ على خلقه، مُهيمـنٌ عليهـم، مطَّلـعٌ إليهـم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكلُّ هــذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه ـ مـن أنَّـه فـوق العـرش وأنَّـه معنـا ـ حـقٌّ علـى حقيقتـه، لا يحتـاج إلـى تحريف، لكن يُصانُ عن الظنون الكاذبة، مثـل أن يُظنَّ أنَّ ظـاهرَ قـوله (فـي السـماء) أنَّ السـماء تُقلُّـه أو تُظلُّـه، وهـذا باطـلٌ بإجمـاع أهـل العلـم

والإيمان؛ فإنَّ اللـه قـد وسـع كرسـيُّه السـموات والأرض، وهو الذي يُمسك السـموات والأرضَ أن تـــــــــــــــــــــــــــزولاَ ، [illegible]

))[illegible].

إلى أن قال: ((وما ذُكر في الكتاب والسُّنَّة من قُربه ومعيَّته لا يُنافي ما ذُكر من علـوِّه وفـوقيَّته؛ فإنَّه سبحانه ليس كمثله شيء في جميـع نعـوته، وهو عليٌّ في دُنُوِّه، قريبٌ في علُوِّه)).

ويشـيرُ شـيخُ الإسـلام رحمـه اللـهُ بالجملـة الأخيرة وهي قولُه: ((عليٌّ في دُنُـوِّه، قريـبٌ فـي علُوِّه)) إلى ما جاء فـي حـديث نُـزول الـرَّبِّ إلـى السماء الدنيا حين يبقى الثلثُ الآخـر مـن الليـل، وحديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسـلم (1348): أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مـا مـن يـوم أكثر من أن يُعتقَ اللهُ فيه عبداً من النار من يـوم عرفة، وإنَّه لَيَدنو، ثمَّ يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟)).

* * *

7 ـ قـوله: ((**خَلَـقَ الإنسـانَ، ويَعلـمُ مـا تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهـو أَقـرَبُ إليـهِ مِـن**

حَبْـلِ الوَرِيـدِ، ومـا تَسْـقُطُ مِـن وَرَقَـةٍ إلاَّ يَعلَمُهـا، ولاَ حَبَّـةٍ فـي ظُلُمَـات الأرضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ في كتاب مُبين)).

عِلْمُ الله محيطٌ بكلِّ شيء، فقـد علـمَ أزَلاً مـا كان وما سيكون، وما لـم يكـن أن لـو كـان كيـف يكون، كما قال الله عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فأخبر عن أمر لا يكون، وهو رجوعُ الكفَّـار إلـى الدنيا، وأنَّهم لو رُدُّوا لعادوا لِمـا نُهـوا عنـه، وقـال اللــه عــزَّ وجــلَّ: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وكلُّ ما هو كائنٌ في الوجود من حركة أو سكون قد سبق به علمُ الله، ولا يحصل لله علم في شيء لم يكن معلوماً له من قبل أزَلاً، قال شيخنا محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في كتابه أضواء البيان (1/75 _ 76) عند قوله تعالى: [illegible]، قال: ((ظاهرُ هذه الآية قد يَتوهَّم منه الجاهلُ أنَّه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، بل هو تعالى عالِمٌ بكلِّ ما سيكون قبل أن يكون، وقد بيَّن أنَّه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جلَّ وعلا: [illegible]،

فقوله:
﴿[illegible]﴾ بعد قوله: ﴿
[illegible]﴾ دليل قاطعٌ على أنَّه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالِماً به، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً؛ لأنَّ العليمَ بذات الصدور غنِيٌّ عن الاختبار، وفي هذه الآية بيانٌ عظيمٌ لجميع الآيات التي يَذكر الله فيها اختبارَه لخلقه، ومعنى ﴿[illegible]﴾ أي: علماً يترتَّبُ عليه الثواب والعقاب، فلا يُنافي أنَّه كان عالِماً به قبل ذلك، وفائدةُ الاختبار ظهور الأمر للناس، أما عالِمُ السِّرِّ والنَّجوى فهو عالِمٌ بكلِّ ما سيكون كما لا يخفى)).

وأمَّا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿[illegible]﴾ [illegible]:

[illegible]: [illegible].

[illegible]: [illegible]:﴿

[illegible]﴾،

وقد رجَّحه ابن كثير في تفسيره، وابن القيم كما

في مختصر الصـواعق (2/268)، وقـد جـاء فـي القــرآن الكريــم ذكــرُ الضــمير بلفــظ التعظيــم والمرادُ به الملائكة، كما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible]، والذي قرأه على الرسول ﷺ جبريلُ، وقوله: [illegible] ، وهو إنَّما جادل الملائكة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] الآية.

* * *

8 ـ قـوله: ((**على العَـرشِ اسْـتَوى، وعَلـى المُلْكِ احْتَوى**)).

من صفات الله الفعليَّة استواؤه علـى عرشـه، ومذهب السَّلف فيه وفـي سـائر الصـفات إثبـات الجميـع علـى مـا يليـق بـالله مـن غيـر تكييـف أو تمثيـل، ومـن غيـر تحريـف أو تعطيـل، مـع فهـم المعنى والجهل بالكيفية، كمـا قـال الإمـام مالـك رحمه الله ـ وقد سُئل عن كيفية الاستواء ـ قال: ((

الاستواءُ معلـومٌ، والكيـف مجهـول، والإيمـان بـه واجب، والسؤال عنه بدعة ».

قال ابن كثير - رحمه اللـه - فـي تفسـيره عنـد تفسـير آيـة الاسـتواء علـى العـرش مـن سـورة الأعراف، قال: « وأمَّا قوله تعالى: [illegible]، فللنَّاس في هذا المقـام مقـالاتٌ كثيرةٌ جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنَّمـا نسـلُكُ في هـذا المقـام مـذهب السَّـلف الصـالح: مالـك والأوزاعي والثوري والليث بـن سـعد والشـافعي وأحمـد وإسـحاق بـن راهـويه وغيرهـم مـن أئمَّـة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارُها كما جاءت من غيـر تكييـف ولا تشـبيه ولا تعطيـل، والظـاهر المتبادر إلى أذهـان المُشـبِّهين منفـيٌّ عـن اللـه؛ فإنَّ اللهَ لا يُشبهه شيءٌ من خلقه، وليـس كمثلـه شيءٌ وهو السـميع البصـير، بـل الأمـر كمـا قـال الأئمَّـة، منهـم نُعيـم بـن حمـاد الخزاعـي شـيخ البخاري، قال: مَن شـبَّه اللـهَ بخلقـه كفـر، ومـن جحدَ ما وصفَ اللـهُ بـه نفسَـه فقـد كفـر، وليـس فيما وصف الله به نفسَه ولا رسولُه تشبيه، فمَـن أثبـت للـه تعـالى مـا وردت بـه الآيـاتُ الصـريحةُ

والأخبارُ الصحيحةُ على الـوجه الـذي يليـق بجلال الله، ونفى عن الله تعـالى النقـائصَ، فقـد سـلك سبيل الهُدى ».

وقد جاء إثباتُ اسـتواء اللـه علـى عرشـه فـي القرآن في سبعة مواضع، قال الله عزَّ وجـلَّ فـي سورة طه: ﴿ ﴾ ، وقال: ﴿ ﴾ في الأعراف ويونس والرعد والفرقان والسجدة والحديد.

ومعنـى ﴿ ﴾ عنـد السـلف: ارتفـع وعلاَ، وأمَّـا المتكلِّمـون فيؤوِّلـون ﴿ ﴾ بمعنـى استولى، وهـو باطـل، قـال أبـو الحسـن الأشـعري - رحمه الله - في كتابه الإبانة (ص:86): «وقد قال قـائلون مـن المعتزلـة والجهميّـة والحروريـة: إنَّ قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ ﴾ أنَّه ﴿ ﴾ وقَهَر، ﴿ ﴾ عزَّ وجلَّ في ﴿ ﴾ وجَحَدوا ﴿ ﴾ وذهبوا ﴿ ﴾ إلى القُدرة، ﴿ ﴾ والأرض السابعة؛ ﴿ ﴾ قادرٌ ﴿ ﴾ مستوياً ﴿ ﴾

وقال: [illegible] ، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (([illegible])) [illegible]

[illegible] (([illegible])) [illegible]

[illegible] (([illegible])) [illegible] - [illegible] - : (([illegible]

[illegible] ([illegible]).

[illegible]

[illegible]

وقال: [illegible]

، وقال: [illegible]

، وقال: [illegible]

، وقال: [illegible]

وقال: [illegible]

.[illegible]

* * *

9 ـ قـــوله: ((**ولـــه الأســـماء الحُســـنى والصِّفاتُ العُلَى**)).

1 ـ أسماءُ الله وصفاته من علم الغيب التي لا يجوز الكلام فيها إلاَّ بما جاء به الوحي مـن كتـاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، فيُثبَتُ لله عزَّ وجلَّ ما أثبته لنفســه أو أثبتــه لــه رســوله ﷺ مــن الأســماء والصفات على ما يليـق بـه سـبحانه وتعـالى دون تكييف وتمثيل، ودون تحريف وتعطيل، مع تنْزيهه عن كلِّ ما لا يليق به، كما قال الله عزَّ وجـلَّ: { [illegible] }.

[illegible]

وقال: [illegible].

ومعنى كون أسماء الله حُسنَى أنَّها بلغـت فـي الحُسن غايته ونهايته، فلا تُوصَف أسماء الله بأنَّها حسنة فحسب، بل تُوصَف بأنَّها حُسنَى، كمـا جـاء في هذه الآيات الكريمات.

3 ـ أسماءُ الله كلُّها مشتقَّةٌ، تدلُّ علـى معـان

هي صفات، فالعزيزُ يـدلُّ علـى العـزَّة، والحكيـم يدلُّ علـى الحكمـة، والكريـم يـدلُّ علـى الكَـرَم، والعظيمُ يدلُّ على العَظمة، واللَّطيف يـدلُّ علـى اللُّطف، والرحمن والرَّحيم يـدلاَّن علـى الرَّحمـة، وهكذا.

وليس في أسماء الله اسـمٌ جامـد، ومـا ذكـره بعضُ أهل العلم من أنَّ من أسماء الله ((الـدَّهر)) فغيرُ صحيح؛ فإنَّ الحديثَ القدسي: ((يُؤذينِي ابنُ آدم يَسبُّ الدَّهر، وأنا الـدَّهر، بيـدي الأمـر، أُقلِّـب اللَّيلَ والنَّهار)) رواه البخـاري (4826) ومسـلم (2246)، لا يدلُّ على أنَّ من أسـماء اللـه الـدَّهر؛ لأنَّ الدَّهرَ هو الزمان، والله تعالى هو الذي يُقلِّـبُ اللَّيـل والنهـار، فمَـن سـبَّ المقلَّـب (بفتـح اللاَّم وتشـديدها) وهـو الـدَّهر، رجعـت مسـبَّتُه إلـى المقلِّب (بكسر اللاَّم وتشديدها) وهـو اللـه، وقـد بيَّن الله ذلك بقـوله: ((بيـدي الأمـر، أقلِّـب الليـل والنهار)).

وأمَّـا الصـفات فليـس كـلُّ صـفة يُشـتقُّ منهـا اسم؛ فإنَّ من صـفات اللـه الذاتيـة الـوجه واليـد والقَـدَم، ولا يُؤخـذ منهـا أسـماء، ومـن صـفاته الفعلية الاستهزاء والكيد والمَكر، ولا يُشـتقُّ منهـا أسماء، فلا يُسمَّى بالماكر والمستهزئ والكائد.

وأقول ـ والشيء بالشيء يُذكر ـ: إنَّ أسماءَ الرسول ﷺ الثابتة مُشتقَّةٌ، تدلُّ على معان، وليس فيها اسم جامد، وليس من أسمائه ﷺ: طه ويس، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تحفة المودود (ص:127)ـ « ومِمَّا يُمنع منه التسمية بأسماء القرآن وسُوَره، مثل: طه، ويس، وحم، وقد نصَّ مالكٌ على كراهة التسمية بـ: يس، ذكره السُّهيلي، وأمَّا ما يذكره العوام أنَّ يس وطه من أسماء النَّبِيِّ ﷺ فغيرُ صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صاحب، وإنَّما هذه الحروف مثل: الم، وحم، والر، ونحوها ».

ولعلَّ مَن توهَّم التسمية بـ(طه) و(يس) من العوامّ أخذه من الخطاب للنَّبِيِّ ﷺ بعد ذكر الحروف المقطَّعة في سورتَي طه ويس، ظانًّا أنَّ هذين من أسمائه ﷺ؛ فإنَّ خطابَ النَّبِيِّ ﷺ جاء أيضاً بعد الحروف المقطَّعة في سورتَي الأعراف وإبراهيم مثلاً، ولا يُقال: إنَّ من أسمائه ﷺ لذلك: (المص)، و(الر).

4 ـ أسماءُ الله عزَّ وجلَّ غيرُ محصورة بعدد؛

فإنَّ منها مـا أطلَـع اللـهُ عـزَّ وجـلَّ النـاسَ عليـه، ومنها ما استأثر بعلمـه، ويـدلُّ لـذلك حـديثُ ابـن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أصاب أحداً قطُّ هَمٌّ ولا حزن، فقال: اللَّهـمَّ إنِّـي عبـدُك، ابنُ عبدك، ابن أَمَتك، ناصـيَتِي بيـدك، مـاض فِـيَّ حكمُك، عدلٌ فِيَّ قضاؤك، أسألك بكـلِّ اسـم هـو لك، سَمَّيتَ به نفسَك، أو علَّمته أحداً من خلقـك، أو أنزلتَـه فـي كتابـك، أو اسـتأثرتَ بـه فـي علـم الغيب عندك، أن تجعلَ القرآنَ ربيـعَ قلبِـي، ونـورَ صـدري، وجلاءَ حزنِـي، وذهـابَ هَمِّـي، إلاَّ أذهـب اللهُ هَمَّه وحزنَه، وأبدله مكانه فرَحاً، قال: فقيل: يا رسول الله! ألاَ نتعلَّمُهـا؟ فقـال: بلـى! ينبغـي لِمَن سَمعَها أن يتعلَّمها » رواه الإمـام أحمـد فـي المسـند (3712)، وعلَّـق عليـه الشـيخ شـعيب الأرنـؤوط وصـاحباه بتضـعيفه، وقـد نقلـوا عـن الحافظ ابن حجر تحسينَه، وصحَّحه الألبـاني فـي السلسـلة الصـحيحة (198)، وقـد صـحَّح هـذا الحديث ابنُ القيـم، وشـرحه شـرحاً واسـعاً فـي كتابه شفاء العليل، في الباب السـابع والعشـرين منه (ص:369 ـ 374).

والأصـلُ عـدم حصـر الأسـماء بعـدد معيَّـن إلاَّ

بدليل يدلُّ على ذلـك، ولا أعلـم دليلاً يـدلُّ عليـه، وأمَّا الحديث الذي رواه البخاري (2736، 6410، 7392) ومسلم (2677) عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رســـــــول اللـــــــــه ﷺ قـــــــال: « إنَّ لله تسعةً وتسـعين اسـماً، مائـة إلاَّ واحـدة، مَن أحصـاها دخـل الجنَّـة »، فلا يـدلُّ علـى حصـر أسماء الله في هذا العدد، بـل يـدلُّ علـى أنَّ مـن أسماء الله تسعة وتسـعين اسـماً، مـن شـأنها أنَّ مَن أحصاها دخل الجنَّة، كما لو قال قائل: عنــدي مائة كتاب أعددتُها لطلبة العلم؛ فإنَّه لا يدلُّ علـى أنَّه ليس عنده إلاَّ هذا العدد.

5 ـ لَم يثبت في سـرد الأسـماء حـديثٌ، وقـد اجتهد بعضُ العلماء في استخراج تسعة وتسـعين اسماً من الكتاب والسُّنَّة، منهم الحافظ ابن حجر فقـد جمـع هـذا العـددَ فـي كتـاب فتـح البـاري (11/215)، وفــي التلخيــص الحــبير (4/172)، ومنهم الشيخ محمد بن عثيمين في كتابه القواعد المثلَى (ص:15 ـ 16)، وهذه الكتب الثلاثة متفقةٌ في أكثر الأسماء، ويوجـد فـي أحـدها مـا لا يوجـد في الآخر.

وأسرُدُ فيما يلـي تسـعة وتسـعين مـن أسـماء الله الحسنَى، مرتَّبَةً على حروف الهجاء، ومع كلِّ

اسم دليلَه من الكتاب أو السُّنَّة، وفيها زيادة على ما في الكتب الثلاثة اسْمَا: (السنِّير، والديَّان).

1ـ **اللـه**: يُطلـق علـى هـذا الاسـم لفـظ الجلالة، ويأتي مراداً به المسمَّى مبتـدأ، ويُخـبر عنه بالأسماء، مثل: [illegible]، وتُنسبُ له الأسماء، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

2ـ **الآخر**: دليلُه [illegible].

3ـ **الأحد**: دليله [illegible].

4ـ **الأعلـــى**: دليلـــه [illegible].

5ـ **الأكرم**: دليله [illegible].

6ـ **الإلـــه**: دليلـــه [illegible].

7ـ **الأول**: دليله [illegible].

8ـ **البـــارئ**، دليلـــه [illegible].

9ـ **البـــاطن**: دليلـــه [illegible]

[illegible]

10ـ **البَرُّ**: دليله [illegible].

11ـ **البصير**: دليلـه [illegible]) »[illegible].

12ـ **التَّـوَّاب**: دليلـه [illegible]

[illegible].

13ـ **الجَبَّــار**: دليلــه [illegible]

[illegible].

14ـ **الجميل**: دليله حديث: « إنَّ اللهَ جميلٌ يُحـــــــبُّ الجمـــــــالَ » رواه مســـــــلم (147).

15ـ **الحــافظ**: دليلــه [illegible]

[illegible].

16ـ **الحسيب**: دليله [illegible].

17ـ **الحفيــظ**: دليلــه [illegible]

[illegible].

18ـ **الحق**: دليله [illegible]

[illegible].

19ـ **الحَكَـم**: دليلـه حـديث: « إنَّ اللـهَ هـو الحَكَـم، وإليـه الحُكـم » رواه أبــو داود (4955)

وغيره، وإسناده حسن.

20ـ **الحكيـــــم**: دليلـــــه [illegible]

[illegible] .

21ـ **الحليم**: دليله [illegible].

22ـ **الحميد**: دليله [illegible].

23ـ **الحــيُّ**: دليلــه [illegible].

24ـ **الحَيِـيُّ**: دليلـه حـديث: « إنَّ اللـه عـزَّ وجلَّ حَيِيٌّ سِتِّير، يُحبُّ الحياءَ والسّـتر » رواه أبـو داود (4012) وغيرُه، وإسناده حسن.

25ـ **الخـــالق**: دليلـــه [illegible].

26ـ **الخـبير**: دليلـه [illegible].

27ـ **الخلاَّق**: دليلــه [illegible].

28ـ **الـديَّان**: دليلـه قـول رسـول اللـه ﷺ: « يَحشرُ اللهُ العبادَ ـ أو قال: الناس ـ عُراةً غُـرْلاً بُهماً، قال: قلنا: ما بُهماً؟ قال: ليس معهم شيء،

ثمَّ يُناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديَّان)) الحديث، أخرجه الحاكم في المستدرك في موضعين (2/438)، (4/574)، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، وحسَّنه الحافظ في الفتح (1/174)، والألباني في صحيح الأدب المفرد (746).

29ـ **الرَّبُّ**: دليله [illegible]

.

30ـ **الرَّحمن**: دليله [illegible]

.

31ـ **الرحيم**: دليله [illegible]

.

32ـ **الرزاق**: دليله [illegible]

.

33ـ **الرَّفيق**: دليله حديث: ((إنَّ الله رفيقٌ يُحبُّ الرِّفق)) رواه البخاري (6927)، ومسلم (2593).

34ـ **الرقيب**: دليله [illegible]

.

35ـ **الرؤوف**: دليله [illegible]

[illegible].

36ـ **السُّبُّوح**: دليله حديث: « سُبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والرُّوح » رواه مسلم (487).

37ـ **الستِّير**: دليله مرَّ عند اسم الحَيي.

38ـ **السلام**: دليله [illegible] [illegible].

39ـ **السَّميع**: دليله [illegible] [illegible].

40ـ **السيِّد**: دليله حديث: « السيِّد اللهُ تبارك وتعالَى » رواه أبو داود (4806) وإسناده صحيح.

41ـ **الشافي**: دليله حديث: « اشف أنت الشافي لا شافي إلاَّ أنت » رواه البخاري (5742)، ومسلم (2191).

42ـ **الشاكر**: دليله [illegible] [illegible].

43ـ **الشَّكور**: دليله [illegible] [illegible].

44ـ **الشهيد**: دليله [illegible] [illegible].

45ـ **الصَّمد**: دليله [illegible].

46ـ **الطيِّب:** دليله حديث: « إنَّ اللهَ طيِّـبٌ ولا يقبل إلاَّ طيِّباً » رواه مسلم (1015).

47ـ **الظـــاهر:** دليلـــه [illegible].

48ـ **العزيـــــز:** دليلـــــه [illegible].

49ـ **العظيم**: دليله [illegible].

50ـ **العفـــــوُّ**: دليلـــــه [illegible].

51ـ **العليـــم:** دليلـــه [illegible].

52ـ **العليُّ:** دليله [illegible].

53ـ **الغـــــالب:** دليلـــــه [illegible].

54ـ **الغفَّـــار:** دليلـــه [illegible].

55ـ **الغفور**: دليله [illegible].

56ـ الغنِــيُّ: دليلــه [illegible]

[illegible].

57ـ الفتَّـــاح: دليلـــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

58ـ القــادر: دليلــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

59ـ القــاهر: دليلـــه [illegible]

[illegible].

60ـ القـــدُّوس: دليلـــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

61ـ القــدير: دليلــه [illegible]

[illegible].

62ـ القريــب: دليلــه [illegible]

[illegible].

63ـ القهَّــار: دليلــه [illegible]

[illegible].

64ـ القويُّ: دليلــه [illegible]

[illegible].

65ـ **القيُّــوم**: دليلــه [illegible]

[illegible].

66ـ **الكـــبير**: دليلـــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

67ـ **الكريــم**: دليلــه [illegible]

[illegible].

68ـ **الكفيل**: دليلــه [illegible]

[illegible]

[illegible]، وحــديث قصَّــة الإســرائيليِّ الــذي قــال لِمَــن أَسْـــــلَفه:

((كفى بالله كفيلاً)) رواه البخاري (2291).

69ـ **اللطيــف**: دليلــه [illegible]

[illegible].

70ـ **المبين**: دليلــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

71ـ **المتَعـــال**: دليلـــه [illegible]

[illegible].

72ـ **المتكبِّر**: دليلــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

73ـ **المَتين**: دليلــه [illegible]

[illegible].

74ـ **المُجيب**: دليلــه [illegible]

[illegible].

75ـ **المجيد**: دليلــه [illegible]

[illegible].

76ـ **المُحســن**: دليلــه حــديث: « إنَّ اللــه مُحسنٌ يُحبُّ المُحسنين » رواه ابــن أبــي عاصــم في الديَّات (ص:56)، وابن عــدي فــي الكامــل (6/2145)، وأبــو نعيــم فــي أخبــار أصــبهان (2/113)، وإسناده حسن كما ذكر الشيخ الألباني في السلسـلة الصـحيحة (470)، وانظـر صـحيح الجـــــامع الصـــــغير (1819)ـــــــ و(1820).

77ـ **المُحيط**: دليلــه [illegible]

[illegible].

78ـ **المصـــوِّر**: دليلـــه [illegible]

[illegible].

79ـ **المُعطــي**: دليلــه حــديث: « واللــه المُعطِـــي وأنـــا القاســـم » رواه البخـــاري (3116).

80ـ **المُقتــدر**: دليلــه [illegible]

[illegible]

81ـ **المقدِّم**: دليله حديث ((أنـتَ المُقـدِّمُ ، وأنـــــتَ المُـــــؤخِّرُ)) رواه البُخـــــاري (1120) ومسلم (771).

82ـ **المُقيــت**: دليلــه [illegible]

[illegible]

83ـ **المَلِــك**: دليلــه [illegible]

[illegible]

84ـ **المَليــك**: دليلــه [illegible]

[illegible]

85ـ **المَنَّــان**: دليلـه حـديث: ((اللهـمَّ إنِّـي أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلاَّ أنت المَنَّان)) رواه أبو داود (1495)، وإسناده حسن.

86ـ **المُهيمـــن**: دليلـــه [illegible]

[illegible]

87ـ **المؤخِّر**: دليله، مرَّ عند اسم المقدِّم.

88ـ **المولَى**: دليلـه [illegible]

[illegible]

89ـ **المؤمن**: دليلـه [illegible]

[illegible]

90ـ النَّصـــير: دليلـــه [illegible]

[illegible].

91ـ الهـادي: دليلـه [illegible]

[illegible].

92ـ الواحد: دليلـه [illegible]

[illegible].

93ـ الـــوارث: دليلـــه [illegible]

[illegible].

94ـ الواســـــع: دليلـــــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

95ـ الـوتر: دليلـه حـديث: « إنَّ اللـه وِتـرٌ يُحـــــــبُّ الـــــــوتر » رواه البخـــــــاري (6410)، ومسلم (2677).

96ـ الـــــوَدود: دليلـــــه [illegible]

[illegible].

97ـ الوكيـــــل: دليلـــــه [illegible]

[illegible].

98ـ الـولِيُّ: دليلـه [illegible]

[illegible].

99ـ الوهَّاب: دليلـه [illegible]

[illegible] **.**

وقد أورد ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين (3/149 ـ 171) تسعةً وتسعين وجهاً تدلُّ لقاعدة سدِّ الذرائع، مُقتصراً على ذلك؛ موافقة لعدَّة أسماء الله الحُسنَى الواردة في الحديث.

وأوردتُ في كتابي: دراسة حديث (نضَّر الله امرءاً سمع مقالَتِي) رواية ودراية (ص:201 ـ 210) تسعاً وتسعين فائدة مُستنبطة من هذا الحديث، الذي ورد بألفاظ كثيرة مختصراً ومُطوَّلاً.

6 ـ من أسماء الله ما يُطلق على غيره، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، والمعاني التي تدلُّ عليها الأسماء لا يشبه فيها الخالقُ المخلوقَ، ولا المخلوقُ الخالقَ.

ومنها ما لا يُطلق إلاَّ على الله، ولا يُطلق على غيره، مثل: الله، والرحمن، والخالق، والبارئ،

والرزاق، والصمد، قال ابن كثير: في تفسيره عند تفسير البسملة في أول سورة الفاتحة: ((والحاصلُ أنَّ من أسمائه تعالى ما يُسمَّى به غيره، ومنها ما لا يُسمَّى به غيرُه، كاسم الله، والرحمن، والخالق، والرزاق، ونحو ذلك)).

* * *

10 ـ قوله: ((**لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه، تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً**)).

الله عزَّ وجلَّ متَّصفٌ بصفاته، متَسَمٍّ بأسمائه أزَلاً وأبداً، فلَم يتَسمَّ باسم بعد أن كان غيرَ متَسَمٍّ به.

وأمَّا صفات الله عزَّ وجلَّ، فهي تنقسمُ إلى قسمين:

صفات ذاتية قائمة بالذات، لازمة لها أزَلاً وأبداً، ولا تتعلَّق بمشيئة وإرادة، كالوجه واليد والحياة والعلم والسَّمع والبصر والعلو.

وصفات فعليَّة متعلِّقة بالمشيئة والإرادة، كالخَلْق والرَّزق والاستواء والنُزول والمجيء، وهذه الصفات نوعُها قديمٌ، وآحادها حادثة،

وهو متَّصفٌ بصفَتَي الخلْق والرَّزق أزَلاً، لـم يكـن غيـــــــــــــــــرَ متَّصـــــــــــــــــف بهاتين الصفتين ثمَّ اتَّصف بهمـا، والاسـتواء علـى العـــــــــــرش حصـــــــــــل بعـــــــــــد خلـق السـموات والأرض، والنُـزول إلـى السـماء الـــدنيا حصـــل بعـــد خلـــق الســـموات والأرض، والمجيئ في قول الله عـزَّ وجـلَّ: □□□□□□ □□□□□□□□ □ □ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ يَحصلُ يوم القيامة لفصـل القضاء بين العباد، واتِّصافُه بكونه يفعـل مـا يريـد قديمُ النَّوع، وهذه الأفعال من الآحاد التي حصلت في الأوقـات الـتي شـاء اللـه فعلَهـا فيهـا، واللـه تعـالى بـذاته وصـفاته هـو الخـالق، ومَـن سـواه مخلــوق، فليــس فــي صــفاته شــيءٌ مخلــوق، وأسماؤه لا بداية للتَّسَمِّي بها، فهي غير مُحدَثة.

* * *

11 ـ قوله: ((**كلَّم موسى بكلامِه الَّـذي هـو صـفةُ ذاتِـه، لا خَلْـقٌ مِـن خَلقِـه، وَتَجَلَّـى للجَبَل فصار دَكًّا مِـن جلالِـه، وأنَّ القـرآنَ كلامُ الله، ليس بمخلُوقٍ فيَبِيـدُ، ولا صـفةً لمخلوقٍ فَيَنْفَدُ**)).

اللــهُ متَّصــفٌ بصــفة الكلام أزَلاً وأبــداً، وهــو متكلِّمٌ بلا ابتداء، ويتكلَّـم بلا انتهـاء؛ لأنَّـه سـبحانه وتعالَى لا بداية له ولا نهايـة لـه، فلا بدايـة لكلامـه ولا نهاية له، وصفةُ الكلام صفةٌ ذاتيَّة فعلية، فهـي ذاتيَّةٌ باعتبـار أنَّـه لا بدايـة للاتِّصـاف بهـا، وفعليـة بكونها تتعلَّق بالمشـيئة والإرادة، فكلامُـه متعلِّـقٌ بمشيئته، يتكلَّم إذا شـاء، كيـف شـاء، وهـو قـديمُ النوع، حادثُ الآحاد، وقد كلَّم موسى فـي زمـانه، وكلَّم نبيَّنا محمداً ﷺ ليلـة المعـراج، ويُكلِّـم أهـلَ الجنَّة إذا دخلوا الجنَّة، وهذه من أمثلة آحاد الكلام التي حصلت وتحصل في الأزمان التي شـاء اللـه عزَّ وجلَّ حصولَها فيها، والله تعالى يتكلَّـم بحـرف وصـوت، ليـس كلامُـه مخلوقـاً ولا معنـى قائمـاً بالـذات، قـال اللـه تعـالى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، ففي هذه الآية إثبات صـفة الكلام للـه عزَّ وجلَّ، وأنَّ كلامَه سَمعَه موسى منه، وقوله: ﴿ ﴾ تأكيدٌ لحصول الكلام، وأنَّه منه سبحانه وتعالى، وكلام الله عزَّ وجلَّ لا بدايـة لـه ولا نهايـة له، فلا حصرَ لـه، بخلاف كلام المخلـوق، فـإنَّ لـه بدايةً وله نهاية، فيكون كلامُه محصوراً، قـال اللـه عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾

[illegible]، وقال: [illegible] ، ففي هاتين الآيتين إثباتُ صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ، وأنَّ كلامَه غيرُ محصــور؛ لأنَّ البحورَ الزاخرةَ ولو ضـوعِفَت أضـعافاً مضـاعفة، وكانت مداداً يُكتبُ به كلام الله، وكان كلُّ ما فـي الأرض من شجر أقلاماً يُكتبُ بها، فلا بدَّ أن تنفــدَ البحورُ والأقلامُ؛ لأنَّها مخلوقةٌ محصورةٌ، ولا ينفــدُ كلام اللــه الــذي هــو غيــر مخلــوق ولا محصــور، والقــرآن مــن كلام اللــه، والتــوراة والإنجيــل مــن كلام الله، وكلُّ كتاب أنزله اللــه فهــو مــن كلامــه، وكلامُه غيرُ مخلــوق، فلا يَحصــل لــه الفنــاءُ الــذي يحصل للمخلوقــات، وهــو صــفة الخــالق الــذي لا نهايــة لــه فلا ينفــدُ كلامُــه، والمخلوقــون يَبيــدون فينفدُ كلامُهم.

وأمَّا قوله: ((**وتجلَّى للجبل فصار دكًّا مــن جلاله**)) فقد قــال اللــه عــزَّ وجــلَّ: [illegible]

[illegible]، وفي هذه الآية الكريمة إثباتُ حصول الكلام من الله لموسى عندما جاء لميقات ربِّه، وفيها أنَّ موسى لَمَّا سمع كلام الله طمِعَ في الرؤية فسألَها، فلَم تحصل؛ لأنَّ اللهَ شاء أن تكون رؤيتُه في الدار الآخرة، وهي أكملُ نعيم يَحصُلُ لأهل الجنَّة، وشاء أن لا تقوى الأبصارُ في هذه الحياة الدنيا على رؤيته، ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ لموسى: ﴿ [illegible] ﴾، أي: في الدنيا، بل إنَّ الجبلَ مع صلابَته لَم يثبت أمام تَجَلِّي الله، فصار دكًّا، وأمَّا في الدار الآخرة فإنَّه سبحانه وتعالى يجعل عبادَه المؤمنين قادرين على رؤيته؛ بما يُعطيهم من القوَّة على ذلك، ويدلُّ لعدم رؤية الله عزَّ وجلَّ في الدنيا قوله ﷺ: « تعلموا أنَّه لن يرَى أحدٌ منكم ربَّه عزَّ وجلَّ حتى يموت » رواه مسلم (2930).

* * *

12 ـ قوله: «**والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وكلُّ ذلك قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا، ومقاديرُ الأمورِ بيدِه، ومَصدَرُها عن**

قضائِه.

عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قَبل كَـونِه، فجَـرَى علـى قَدَرِه، لا يَكون مِن عبادِه قَولٌ ولا عَمَلٌ إلاَّ وقدْ قَضَاهُ وسـبق عِلْمُـه بـه، [illegible]

[illegible].

[illegible]

1 - الإيمان بالقدر أحدُ أصول الإيمـان السـتة المبيَّنة في حديث جبريـل المشـهور، فـإنَّه سـأله عـن الإيمـان، فقـال: « أن تـؤمن بـالله وملائكتـه وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيـره وشـرِّه » أخرجه مسلم في صحيحه، وهـو أوَّل حـديث فـي كتاب الإيمان، الذي هو أوَّل كتـب صـحيحه، وجـاء في إسناده أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهمـا حدَّث بـه عـن أبيـه؛ للاسـتدلال بـه علـى الإيمـان بالقدر، عندما سأله يحيى بن يَعمر وحميد بن عبد

الرحمن الحميري عن أُنـاسٍ وُجـدوا فـي العـراق يُنكرون القـدرَ، وأنَّ الأمـرَ أُنُـفٌ، فقـال للسـائل: « فإذا لقيـتَ أولئـك فـأخبِرهم أنِّـي بريـء منهـم، وأنَّهم بُرآءُ منِّي، والـذي يَحلـف بـه عبـد اللـه بـن عمر! لو أنَّ لأحدهم مثـل أُحُـد ذهبـاً فـأنفقه، مـا قَبـل اللـه منـه حتَّـى يُـؤمنَ بالقـدر »، ثـمَّ حـدَّث بالحديث عن أبيه، وحديثُ جبريـل عـن عمـر مـن أفراد مسلم، وقد اتَّفـق الشـيخان علـى إخراجـه من حديث أبي هريرة ﷺ.

2 ـ جاء في القرآن آياتٌ كثيرةٌ، وفـي السُّـنَّة أحاديثُ عديدة تدلُّ على إثبـات القَـدر، قـال اللـه عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقال:

﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾، وأمَّـا السُّـنَّة فقـد عقـد كـلٌّ مـن الإمـام البخـــــــاري والإمـــــــام مســـــــلم في صحيحيهما كتاباً للقدر، اشتملاَ على أحـاديث عديـــــــدة فـــــــي إثبـــــــات القدر، روى مسلم في صحيحه (2664) عن أبـي

هريرة ﷺ قال: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((المـؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى الله من المؤمن الضَّـعيف، وفي كلٍّ خير، احرص علـى مـا ينفعُـك، واسـتَعن بالله ولا تَعجَز، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقل: لو أنِّـي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدرُ الله وما شاء فعل؛ فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطان)).

وروى مسـلمٌ (2655) بإسـناده إلـى طـاوس قال: ((أدركتُ ناساً من أصـحاب رسـول اللـه ﷺ يقولون: كلُّ شيء بقَدر، قال: وسمعتُ عبد اللـه بن عمر يقول: قـال رسـول اللـه ﷺ: كـلُّ شـيء بقدر، حتى العَجز والكيس، أو الكيسُ والعجز)).

والعجــزُ والكيــس ضــدَّان، فنشــاطُ النشــيط وكسـل الكَسـول وعجـزه، كـلُّ ذلـك بقـدر، قـال النووي في شرح الحديث (16/205)ـ ((ومعنـاه أنَّ العاجزَ قد قُدِّر عجزُه، والكَيِّسُ قد قُدِّر كيسُـه)).

وقال ﷺ: ((مـا منكـم مـن أحـدٍ إلاَّ وقـد كُتـب مقعدُه من الجنَّة، ومقعدُه مـن النَّـار، فقـالوا: يـا رسـول اللـه! أفلا نتَّكِـلُ؟ فقـال: اعملـوا فكـلٌّ ميَسَّـــرٌ، ثـــمَّ قـــرأ [illegible] إلـــــــى قـــــــوله:

[illegible])) رواه البخاري (4945) ومسلم (2647) من حديث عليّ ﷺ.

والحديثُ يدلُّ على أنَّ أعمالَ العباد الصالحة مقدَّرَةٌ، وتؤدِّي إلى حصول السعادة وهي مقدَّرَة، وأعمالُهم السيِّئة مقدرَّةٌ، وتؤدِّي إلى الشقاوة وهي مقدَّرةٌ، واللهُ سبحانه وتعالى قدَّر الأسباب والمسبّبات، وكلُّ شيءٍ لا يخرج عن قضاء الله وقدره وخلقه وإيجاده.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: يا غلام! إنِّي أُعلِّمُك كلماتٍ: احفظ اللهَ يحْفظْكَ، احفظ الله تجدْه تجاهَك، إذا سألتَ فاسأل اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله، واعلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يَضُرُّوك بشيءٍ لَم يضرُّوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفعت الأقلامُ وجفَّت الصُّحُف)) رواه الترمذي (2516)، وقال: ((هذا حديثٌ حسن صحيح)).

وهذا الحديث شرحه الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم في شرح خمسين

حديثاً من جوامع الكلِم (1/459)، وهـو الحـديث التاسع عشر من الأربعين النَّوويّة.

3 ـ الإيمانُ بالقدر له أربـعُ مراتـب لا بـدَّ مـن اعتقادها:

المرتبةُ الأولى: عِلْمُ الله الأزلِيّ في كلِّ مـا هو كائنٌ، فإنَّ كلَّ كائنٍ قد سبق به علمُ اللـه أزلاً، ولا يتجدَّد له علْمٌ بشيءٍ لَـم يكـن عالمـاً بـه أزلاً، وقد سبق إيضـاح هـذه المرتبـة عنـد الكلام علـى صفة علم الله في الفقرة رقم (7).

الثانيـة: كتابـةُ كـلِّ مـا هـو كـائنٌ فـي اللَّـوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، لقوله ﷺ: ‹‹ كتب اللهُ مقـاديرَ الخلائـق قبل أن يخلقَ اللـهُ السـماوات والأرض بخمسـين ألف سنة قال: وعرشُه على الماء ›› رواه مسـلم (2653) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الثالثة: مشيئةُ الله وإرادتُه، فـإنَّ كـلَّ مـا هـو كائنٌ إنَّما حصل بمشـيئة اللـه، ولا يقـع فـي ملـك الله إلاَّ ما أراده الله، فما شاء الله كـان، ومـا لـم يشأ لم يكن، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]

[illegible].

الرابعة: إيجاد كلّ ما هو كائنٌ وخَلْقُه بمشيئة الله، وفقاً لما علِمَه أزَلاً وكتبه في اللَّوح المحفوظ؛ فإنَّ كلَّ ما هو كائنٌ من ذوات وأفعال هو بخلْق الله وإيجاده، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible].

4 ـ ما قدَّره الله وقضاه وكتَبَه في اللَّوح المحفوظ هو من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله، ويُمكن أن يَعلَم الخلقُ ما هو مُقدَّرٌ بأحد أمرَين:

الأمر الأول: الوقوع، فإذا وقع شيءٌ عُلم بأنَّه مُقدَّر؛ لأنَّه لو لم يُقدَّر لَم يَقع، فإنَّه ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن.

الثاني: حصولُ الإخبار من رسول الله ﷺ عن أمور تقع في المستقبل، مثل إخباره عن الدَّجَّال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم، وغيرها من الأمور التي تقع في آخر الزمان، فهذه الأخبارُ تدلُّ على أنَّ هذه الأمور لا بدَّ أن تقع، وأنَّه سبق بها قضاءُ الله وقدَرُه، ومثل إخباره عن أمور تقع قرب زمانه ﷺ، ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بَكرة ﷺ قال: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ على المنبر،

والحسن إلى جنبه، يَنظرُ إلـى النـاس مـرَّة وإليـه مـرَّة، ويقـول: « ابْنِـي هـذا سـيِّد، ولعـلَّ اللـهَ أن يُصــلحَ بــه بيــن فئتَيــن مــن المســلمين » رواه البخاري (3746).

وقد وقع مـا أخـبرَ بـه الرسـول ﷺ فـي عـام (41هـ) حيث اجتمعت كلمـةُ المسـلمين، وسُـمِّي عــام الجماعــة، والصــحابةُ رضــي اللــه عنهــم وأرضاهم فَهموا من هذا الحـديث أنَّ الحسـن ﷺ لن يموتَ صغيراً، وأنَّه سـيعيش حـتى يحصـل مـا أخبر به الرسول ﷺ من الصُّلح، وهو شيءٌ مقدَّرٌ، علم الصحابةُ به قبل وقوعه.

5 ـ قوله: « **والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وكلُّ ذلك قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنـا** » جاء في حديث جبريل: « وأن تؤمن بالقَـدر خيـره وشرِّه »، والله سبحانه خالقُ كلِّ شيء ومُقــدِّرُه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾، وقال: ﴿ ﴾، فكلُّ ما هو كـائنٌ مـن خيـر وشـرٍّ هـو بقضـاء اللـه وقـدره، ومشيئته وإرادته، وأمَّا ما جاء في حديث عليٍّ ﷺ في دعاء النَّبِيّ ﷺ الطويـل وفيـه: « والخيـر كلُّـه فـي يـديك، والشـرُّ ليـس إليـك » رواه مسـلم (771)، فلا يـدلُّ علـى أنَّ الشَّـرَّ لا يقـع بقضـائه

وخلقه، وإنَّما معناه أنَّ اللهَ لا يخلقُ شَرًّا محضاً لا يكون لحكمة، ولا يـترتَّب عليـه فائـدةٌ بـوجه مـن الوجوه، وأيضاً الشرُّ لا يُضاف إليـه اسـتقلالاً، بـل يكون داخلاً تحت عمومٍ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، فيُتأدَّب مـع اللـه بعـدم نسـبة الشرِّ وحده إلى الله، ولهذا جاء فيمـا ذكـره اللـه عن الجنِّ تأدُّبُهم بنسبة الخيـر إليـه، وذكـر الشـرِّ علـى البنـاء للمجهـول، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾.

6 ـ من مراتـب القـدر الأربـع كمـا مـرَّ قريبـاً مشـيئة اللـه وإرادتُـه، والفـرق بيـن المشـيئة والإرادة أنَّ المشيئة لَم تأت في الكتـاب والسُّـنَّة إلاَّ لمعنى كونيٍّ قـدَري، وأمَّـا الإرادة فإنَّهـا تـأتي لمعنى كونِيٍّ ومعنى دينِيٍّ شـرعيٍّ، ومـن مجيئهـا لمعنى كونيٍّ قدَري قـوله تعـالى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ، وقوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾.

ومن مجيء الإرادة لمعنـى شـرعيٍّ قـول اللـه

عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، وقوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، والفرقُ بين الإرادَتَين أنَّ الإرادةَ الكونيَّة تكون عامَّةً فيما يُحبُّه الله ويَسخطُه، وأمَّا الإرادةَ الشرعيَّة فلا تكون إلاَّ فيما يُحبُّه الله ويرضاه، والكونيَّة لا بدَّ من وقوعها، والدينيَّة تقع في حقِّ مَن وفَّقه الله، وتتخلَّف في حقِّ مَن لم يحصل له التوفيقُ من الله، وهناك كلماتٌ تأتي لمعنى كونيٍّ وشرعي، منها القضاء، والتحريم، والإذن، والكلمات، والأمر وغيرها، ذكرها ابن القيم وذكر ما يشهد لها من القرآن والسنَّة في كتابه شفاء العليل، في الباب التاسع والعشرين منه.

7 ـ ما قدَّره الله وقضاه وكَتَبه في اللوح المحفوظ لا بدَّ من وقوعه، ولا تغييرَ فيه ولا تبديل، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، وقوله ﷺ: ((رُفعت الأقلام، وجَفَّت الصُّحف)).

وأمَّا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، فقد فُسِّر بأنَّ

ذلك يتعلَّق بالشرائع، فينسخ اللـهُ منهـا مـا يشـاء ويُثبتُ ما يشاء، حتى خُتمت برسـالة نبيِّنـا محمـد ﷺ، الـتي نَسـخت جميـع الشـرائع قبلهـا، وفُسِّـر بالأقدار التي هي في غير اللَّوح المحفوظ، كالذي يكون بأيدي الملائكة، وانظر: شـفاء العليـل لابـن القيـم، فـي الأبـواب: الثـاني والرابـع والخـامس والسادس، فقد ذكر في كـلِّ بـاب تقـديراً خاصًّـا بعد التقدير في اللَّوح المحفوظ.

وأمَّا قوله ﷺ: ((لا يَـردُّ القضَـاءَ إلاَّ الـدعاءُ، ولا يزيـــــــد فـــــــي العُمـــــــر إلاَّ البِرُّ)) أخرجه الترمذي (2139)، وحسنه، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (154)، فلا يدلُّ على تغيير ما في اللَّوح المحفوظ، وإنَّما يـدلُّ علـى أنَّ اللهَ قدَّر السَّلامةَ من الشرور، وقدَّر أسباباً لتلـك السَّلامة، والمعنى أنَّ اللهَ دفـع عـن العبـد شـرًّا؛ وذلك مقدَّرٌ بسببٍ يفعله وهو الدّعاء، وهو مقـدَّرٌ، وكـذلك قـدَّر أن يطـولَ عُمـرُ الإنسـان، وقـدَّر أن يحصلَ منه سببُ لذلك، وهو البِـرُّ وصـلة الرَّحـم، فالأسبابُ والمسبَّباتُ كلُّهـا بقضـاء اللـه وقـدره، وكذلك يُقال في قوله ﷺ: ((مَن سـرَّه أن يُبسَـط له في رزقه أو يُنسَأ له في أثره فليَصِـلْ رَحِمَـه))

رواه البخاري (2067)، ومسلم (2557)، وأجَلُ كلّ إنسان مُقدَّرٌ فـي اللـوح المحفـوظ، لا يتقـدَّم عنـه ولا يتـأخَّر، كمـا قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]، فـاحتجُّوا بـه مُصَوِّبين لِمَـا هـم عليـه، وأنَّهـم لـم يَنـدموا علـى فعله، ولم يعزموا على تركه، ولَم يُقرُّوا بفسـاده، فهذا ضدُّ احتجاج مَن تبيَّن لـه خطـأُ نفسـه ونـدم

وعزَم كلَّ العزم على أن لا يعودَ، فـإذا لاَمَـه لائـمٌ بعـد ذلـك قـال: كـان مـا كـان بقـدر اللـه، ونُكتـة المسألة أنَّ اللَّومَ إذا ارتفع صحَّ الاحتجاجُ بالقـدر، وإذا كان اللَّومُ واقعاً فالاحتجاجُ بالقـدر باطـلٌ ... ».

9 ـ وقوله: « **تعالَى أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد، أو يكونَ لأَحَد عنه غِنًى خالقاً لكلِّ شـيءٍ إلاَّ هـو، رَبُّ العبـاد ورَبُّ أعمـالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَركـاتِهم وآجـالِهم** » الظـاهر أنَّ في قـولَه: « خالقـاً لكـلِّ شـيء إلاَّ هـو » سـقطاً يدلُّ عليه مـا قبلـه، تقـديره: « وأن يكـون خالقـاً لكلِّ شيء إلاَّ هو » وفي هذه الجُمل كلِّها ردٌّ على القدريـة الـذين يقولـون: إنَّ العبـادَ يَخلقـون أفعالَهم، وأنَّ اللهَ لم يُقدِّرها عليهم، فإنَّ مقتضى قولهم هذا أنَّ أفعالَ العباد وقعت فـي مُلـك اللـه وهو لم يُقدِّرها، وأنَّهم بخلقهم لأفعالِهم مُستغنون عن الله، وأنَّ اللـه ليـس خالقـاً لكـلِّ شـيء، بـل العباد خلقوا أفعالَهم، والله سبحانه وتعالَى خـالق العباد وخـالق أفعـال العبـاد، فهـو خـالق المـذوات والصفات، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

وقال: [illegible].

ويُقابل نفاةَ القـدر فرقـةٌ ضـالَّةٌ هـم الجبريـة، الذين سَلَبُوا عن العبـد الاختيـارَ، ولَـم يجعلـوا لـه مشيئةً وإرداةً، وسَـوَّوا بيـن الحركـات الاختياريـة والحركات الاضطرارية، وزعموا أنَّ كلَّ حركـاتهم بمنْزلــة حركــاتِ الأشــجار، وأنَّ حركــةَ الآكــلِ والشارب والمصلِّي والصائم كحركـة المُرتعـش، ليس للإنسـان فيهـا كسـبٌ ولا إرادة، وعلـى هـذا فما فائدةُ إرسـال الرُّسـل وإنـزال الكتـب، ومـن المعلـوم قطعـاً أنَّ للعبـد مشـيئةً وإرادةً، يُحمَـد على أفعـاله الحسـنة، ويُثـاب عليهـا، ويُـذمُّ علـى أفعاله السيِّئة ويُعاقب عليهـا، وأفعـالُه الاختياريـة يُنســبُ إليــه فعلُهــا وكســبُها، وأمَّــا الحركــات الاضطرارية كحركة المرتعش فلا يُقال: إنَّها فعلٌ له، وإنَّما هي صفةٌ له، ولهذا يقول النَّحويُّـون فـي تعريف الفاعل: هو اسمٌ مرفـوعٌ يـدلُّ علـى مَـن حصل منه الحَدَث أو قـام بـه، ومرادُهـم بحصـول الحَدَث: الأفعال الاختياريـة الـتي وقعـت بمشـيئة العبد وإرادته، ومرادُهم بقيام الحَـدَث: مـا لا يقـع تحـت المشـيئة، كـالموت والمـرض والارتعـاش ونحو ذلك، فـإذا قيـل: أَكَـلَ زيـدٌ وشـرب وصـلَّى

وصام، فزيدٌ فيها فاعلٌ حصل منه الحَـدَث، الـذي هو الأكل والشربُ والصـلاة والصـيام، وإذا قيـل: مـرض زيـدٌ أو مـات زيـدٌ أو ارتعشـت يـدُه، فـإنَّ الحدَثَ ليس من فعل زيد، وإنَّما هـو وصـفٌ قـام به.

وأهـل السُّـنَّة والجماعـة وسَـطٌ بيـن الجبريـة الغلاة في الإثبات، والقدرية النفـاة؛ فـإنَّهم أثبتـوا للعبد مشيئةً، وأثبتوا للربِّ مشيئةً عامَّـة، وجعلـوا مشيئةَ العبد تابعةً لمشيئة الله، كما قال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فلا يقع في مُلك الله ما لَم يشأه الله، بخلاف القدرية القائلين: إنَّ العبادَ يخلقـون أفعـالَهم، ولا يُعـاقب العباد علـى أشـياء لا إرادة لهـم فيهـا ولا مشـيئة، كما هو قول الجبرية، وبهـذا يُجـابُ عـن السـؤال الـذي يتكـرَّر طرحُـه، وهـو: هـل العبـدُ مسـيَّرٌ أو مُخيَّـر؟ فلا يُقـال: إنَّـه مسَـيَّرٌ بـإطلاق، ولا مُخيَّـرٌ بإطلاق، بل يُقال: إنَّه مُخيَّرٌ باعتبار أنَّ لـه مشـيئةً وإرادةً، وأعمـاله كسـب لـه يُثـاب علـى حَسَـنها ويُعاقَب علـى سـيِّئها، وهـو مسـيَّرٌ باعتبـار أنَّـه لا يحصل منه شيءٌ خارجٌ عن مشـيئة اللـه وإرادتـه وخلقه وإيجاده.

10 ـ قـوله: ((**يُضِلُّ مَـن يشـاء، فيَخْـذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء، فَيُوَفِّقُه بفضـلِه، فكَـلٌّ مُيَسَّـرٌ بتَيْسـيره إلـى مـا سَـبَقَ مِـن علمه وقَدَره، مِن شَقِيٍّ أو سعيدٍ**)).

هدايةُ كـلِّ مُهتـد وضـلالُ كـلِّ ضـال، كـلُّ ذلـك حصل بمشيئة الله وإرادته، والعبـادُ قـد بيَّـن اللـه لهم طريقَ السعادة وطريـق الضـلالة، وأعطـاهم عقولاً يُميِّزون بها بين النافع والضار، فمَـن اختـار طريقَ السعادة فسلكه انتهى بـه إلـى السـعادة، وقد حصـل ذلـك بمشـيئة العبـد وإرادتـه، التابعـة لمشـيئة اللـه وإرادتـه، وذلـك فضـلٌ مـن اللـه وإحسـان، ومَـن اختـار طريـقَ الضـلالة وسـلكه انتهى به إلى الشقاوة، وقد حصـل ذلـك بمشـيئة العبد وإرادته، التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلـك عدلٌ من الله سبحانه، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] أي: طريقَـي الخيـر والشرِّ، وقال: [illegible]، وقـال: [illegible].

والهدايــةُ هــدايتان: هدايــةُ الدَّلالــة والإرشــاد، وهذه حاصلةٌ لكـلِّ أحـد، وهدايـة التوفيـق، وهـي حاصلةٌ لِمَن شاء اللهُ هـدايتَه، ومـن أدلَّـة الهدايـة الأولـى قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ لنـبيِّه ﷺ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، أي: أنَّك تدعو كلَّ أحد إلى الصراط المسـتقيم، ومـن أدلَّـة الهدايـة الثانية قول اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، وقد جمع الله بين الهدايتَين في قوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، فقـوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ أي: كلَّ أحد، فحُـذف المفعـول لإرادة العموم، وهذه هي هداية الدلالة والإرشاد، وقوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ أظهرَ المفعولَ لإفادة الخصوص، وهي هداية التوفيق.

وقـــد أورد شـــيخنا الشـــيخ محمـــد الأميـــن الشـنقيطي - رحمـه اللـه - فـي كتـابه دفـع إيهـام الاضطراب عن آيات الكتاب في سورة الشـمس حكايتَين توضِّحان فسادَ مذهب المعتزلة في باب القضاء والقدر، فقال: « ولَمَّا تنـاظر أبـو إسـحاق الإسفرائينِي مع عبد الجبار المعـتزلي، قـال عبـد الجبار: سبحان مَن تنَزَّه عـن الفحشـاء، وقصْـدُه

أنَّ المعاصي كالسرقة والزنى بمشيئة العبد دون مشيئة الله؛ لأنَّ اللـه أعلَـى وأجَـلُّ مـن أن يشـاء القبائح في زعمهم، فقال أبو إسحاق: كلمـةُ حـقٍّ أُريد بها باطل، ثم قـال: سـبحان مَـن لا يقـع فـي ملكه إلاَّ ما يشاء، فقال عبد الجبار: أتـراه يخلقـه ويُعاقبُنِي عليه؟ فقال أبو إسـحاق: أتـراك تفعلـه جبراً عليه؟ أأنتَ الرَّب وهـو العبـد؟! فقـال عبـد الجبار: أرأيتَ إن دعانِي إلى الهُدى، وقضى علـيَّ بـالرَدَى، أتـراه أحسـن إلـيَّ أم أسـاء؟ فقـال أبـو إسحاق: إن كان الذي منعك منـه مُلكـاً لـك فقـد أسـاء، وإن كـان لـه: فـإن أعطـاك ففضـل، وإن منعك فعدل، فبُهت عبد الجبار، وقال الحاضرون: والله! ما لهذا جواب!

وجاء أعرابِيٌّ إلى عمـرو بـن عُبيـد وقـال: ادعُ اللهَ لي أن يرُدَّ عليَّ حمارةً سُرِقت منِّـي، فقـال: اللَّهــمَّ إنَّ حمــارتَه سُــرقت ولَــم تُــرِدْ ســرقتَها فاردُدْها عليه، فقال الأعرابِيُّ: يا هذا! كُـفَّ عنِّـي دُعــاءَك الخــبيث؛ إن كــانت سُــرقَت ولَــم يُــرِدْ سرقتَها، فقد يريد رَدَّها ولا تُرَدُّ ».

* * *

13 ـ قوله: « **الباعثُ الرُّسُل إليهِم لإقَامَــةِ**

الحُجَّةِ عَلَيهم)).

1 ـ أعظمُ نعم الله على عباده أن أرسل إليهم رسُــلاً وأنــزل كتُبــاً؛ لهــدايتهم إلــى الصــراط المستقيم، وإخراجهـم مـن الظلمـات إلـى النـور بإذن ربِّهم، وإقامة الحجَّـة عليهـم، قـال اللـه عـزَّ وجلَّ: [illegible]، وقـال سبحانه: [illegible]، وقـــال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible] ، وقال: [illegible].

2 ـ الإيمانُ بالرُّسل من أصول الإيمـان، وكـذا الإيمان بالكتب، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]

[illegible] ، وقال: [illegible]، وفي حديث جبريل المشهور أنَّه لَمَّا سـأل الرسـولَ ﷺ عن الإيمان، قال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر والقـدر خيـره وشـرِّه » وهـو في صحيح مسلم من حديث عمر رضي الله عنه.

3 ـ رسُل الله عزَّ وجلَّ منهم مَن قصَّهم علينـا في القرآن ومنهم من لم يقصُصْ، قـال اللـه عـزَّ وجلَّ: [illegible]، وجملةُ الـذين قصَّـهم علينـا فـي القـرآن خمسـة وعشرون، جاء فـي سـورة الأنعـام ثمانيـة عشـر منهـم فـي قـوله تعـالى: [illegible]

[illegible]، والباقون: محمد وآدم وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس.

والواجب هو الإيمان بالرُّسل والأنبياء جميعاً مَن قُصَّ ومَن لم يُقصَّ، ومَن كذَّب واحداً منهم فقد كذَّب جميعَهم، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، فقد كذَّبت كلُّ أمَّة رسولَها، وأضاف إليها تكذيب المرسلين؛ لأنَّ تكذيبَ واحد منهم تكذيبٌ لجميعهم، ومَن آمن برسول وكذَّب بغيره فهو مُكذِّبٌ بذلك الرسول الذي يزعم أنَّه آمن به.

4 ـ وأمَّا الفرق بين النَّبِيِّ والرسول فقد اشتهر أنَّ النَّبِيَّ هو مَن أُوحي إليه بشرع ولم يُؤمَر بتبليغه، والرسولَ هو مَن أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، لكن هذا التفريق قد جاء في بعض الأدلَّة ما يدلُّ على عدم صحَّته، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]، وذلك يدلُّ على أنَّ النَّبِيَّ مرسَلٌ مأمورٌ بالتبليغ، وقال: [illegible] الآية، فهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّ أنبياءَ بنِي إسرائيل من بعد موسى يَحكمون بالتوراة ويدعون إليها، وعلى هذا فيُمكن أن يُقال في الفرق بين الرسول والنَّبِيِّ: إنَّ الرَّسولَ مَن أُوحي إليه بشرع وأُنزل عليه كتاب، والنَّبِيَّ هو الذي أُوحي إليه بأن يُبلِّغ رسالةً سابقة، وهذا هو المتَّفق مع الأدلَّة، لكن يبقى عليه إشكال، وهو أنَّ من المرسَلين مَن وُصف بأنَّه نبِيٌّ رسول، كما قال الله عزَّ وجلَّ في نبيِّنا محمد ﷺ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال في موسى: [illegible]، وقال في إسماعيل: [illegible]، ونبيُّنا محمد ﷺ نَزَل عليه الوحيُ أوَّلاً ولم

يُؤمَر بالتبليغ، ثم أُمـر بعـد ذلـك بـالتبليغ بقـوله: ﴿ [illegible]، ولهذا قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه اللـه - في الأصول الثلاثة: ((نُبِّئ بـ ﴿ [illegible] ﴾، وأُرسـل بـ ﴿ [illegible]))، وعلى هذا فيُقال: النَّبِيُّ مَن أُوحـي إليه ولم يُؤمَر بالتبليغ فـي وقـت مـا، أو أُمـر بـأن يبلِّغ شريعة سابقة.

* * *

14 ـ قـوله: ((**ثُـمَّ خَتَـمَ الرِّسـالةَ والنَّـذَارَةَ والنُّبُـوَةَ بمحمَّـد نَـبيِّه ﷺ، فجَعَلَـه آخـرَ المرْسَلين، بَشِيراً ونَذِيراً، وداعياً إلى الله بإذنِه وسِـرَاجاً منيـراً، وأنـزَلَ عَليـه كتـابَه الحَكِيمَ، وشَرَحَ به دينَه القَويمَ، وهَـدَى بـه الصِّرَاطَ المستَقيمَ**)).

أعظمُ نعمة أنعـم اللـه تعـالى بهـا علـى الجـنِّ والإنس في آخـر الزمـان أن بعـث فيهـم رسـوله الكريم محمداً ﷺ، فدلَّهم على كلِّ خير، وحذَّرهم من كلِّ شرٍّ، قال الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿ [illegible]

[illegible] ، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وقـــــــال:

[illegible]

[illegible] ، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وقال: [illegible]

[illegible].

وأمَّةُ نبيِّنا محمد ﷺ أمَّةُ دعوة وأمَّةُ إجابة، فأمَّةُ الدعوة كلُّ إنسيٍّ وجنِيٍّ من حين بعثته ﷺ إلى قيام الساعة، وأمَّة الإجابة هم الذين وفَّقهم الله للدخول في دينه الحنيف، فشريعتُه ﷺ لازمةٌ للجنِّ والإنس، والدعوة إليها مُوجَّهةٌ لهم جميعاً، ليست لأحد دون أحد، بل هي للجميع، قال رسول الله ﷺ: « والذي نفس محمد بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمَّة: يهودي ولا نصراني، ثمَّ يموت ولم يُؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلاَّ كان من أصحاب النار » رواه مسلم (240).

فاليهود والنصارى بعد بعثة نبيِّنا محمد ﷺ، لا ينفعُهم زعمُهم أنَّهم أتباعُ موسى وعيسى، بل يتعيَّنُ عليهم الإيمانُ بنبيِّنا محمد ﷺ، الذي نسخت شريعتُه الشرائعَ قبلها، وخُتم به النبيُّون، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

وقوله: « **وأنزَلَ عَليه كتابَه الحَكِيمَ، وشَرَحَ به دينَه القَويمَ** »، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، فهذه الآية تدلُّ على أنَّ القرآنَ مُهيمنٌ على

الكتب السابقة، وسنَّة رسول الله شارحةٌ للكتاب وموضِّحة له، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، ولا بدَّ من العمل بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ومن كفـر بالسُّـنَّة فقـد كفـر بالقرآن، والله عزَّ وجلَّ فرض الصلوات الخمـس والزكـاة والصـيام والحـج، وبيانُهـا وبيـان غيرهـا حصل بالسُّنَّة، فالله قد أمر بإقام الصـلاة، وبيَّنـت السُّنَّة أوقاتَ تلك الصلوات وعدد ركعاتها، وبيَّنـت كيفياتها، وقال ﷺ: ((صلُّوا كما رأيتُمـونِي أُصـلِّي)) رواه البخاري (631).

وأمـر بإيتـاء الزكـاة، وبيَّنـت السُّـنَّة شـروطَ وجوبهـا، وأنصـباءها ومقاديرهـا، وأمـر بالصـيام، وبيَّنت السُّنَّة أحكامَه ومُفطِّراته.

وأمر بالحجِّ، وبيَّن الرسول ﷺ كيفياته، وقال: ((لتأخذوا مناسككم، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا أحجُّ بعـد حَجَّتِي هذه)) رواه مسلم (1297).

وقوله: ((**وهدى به الصراطَ المسـتقيم**))، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾

[illegible]، فسبيلُ الهداية مقصـورٌ علـى اتِّباع النَّبِيّ ﷺ، ولا يُعبَدُ اللهُ إلاَّ بما جاء به رسـوله الكريم ﷺ، ولا طريق يُوصلُ إلى الله إلاَّ باتِّباع ما جاء به ﷺ.

وحاجـةُ المسـلم إلـى الهدايـة إلـى الصـراط المسـتقيم أعظـمُ مـن حـاجته إلـى الطعـام والشراب؛ لأنَّ الطعامَ والشرابَ زادُه في الحيـاة الـدنيا، والصـراطَ المسـتقيم زادُه للـدار الآخـرة، ولهذا جـاء الـدعاءُ لطلـب الهدايـة إلـى الصـراط المستقيم في سورة الفاتحة، التي تجب قراءتُهـا في كلِّ ركعـة مـن ركعـات الصـلاة، سـواء كـانت فريضةً أو نافلـةً، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فالمسلمُ يدعو بهذا الدعاء باستمرار ليهـديه ربُّـه صـراطَ المنعَـم عليهـم مـن النـبيِّين والصِّـدِّيقين والشـهداء والصـالحين، وأن يُجنِّبَـه طريـق المغضوب عليهم والضالِّين، من اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الدِّين.

وهدايـةُ النَّبِـيِّ ﷺ الجـنَّ والإنـسَ إلـى الصـراط

المستقيم هو النور الذي وصفه اللـه عـزَّ وجـلَّ بـه فـي قـوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، فقد وصفه الله عزَّ وجلَّ في هـذه الآيـة بـأنَّه سـراجٌ منيـر، يُضـيء بـه للعبـاد الطريـقَ إليـه سـبحانه وتعـالى، وهـذا أيضـاً هـو معنـى النور الذي وصف به القرآن في قوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، فنور القرآن ما اشتمل عليه من الهداية إلـى الصـراط المستقيم.

* * *

15 ـ قـوله: ((**وأنَّ السَّـاعةَ آتيَـةٌ لا رَيْـبَ فيهـا، وأنَّ اللـهَ يَبعَـثُ مَـن يَمـوتُ، كمـا بدأهم يعودون**)).

1 ـ علمُ قيام الساعة اختصَّ به الله عزَّ وجلَّ ، ففـي صـحيح البخـاري (4697) أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مفاتيحُ الغيب خمـسٌ لا يعلمهـا إلاَّ الله))، وآخرها: ((ولا يعلمُ متى تقـوم السـاعةُ إلاَّ الله)).

وكان ﷺ عندما يُسأل عنهـا يُجيـب بـذكر بعـض

أماراتها، فلا يَعلمُ أحدٌ غير الله في أيِّ سـنة وفـي أيِّ شهر وفي أيِّ يوم مـن الشـهر يكـون قيامهـا، وقد جاء في السُّنَّة عن الرسول ﷺ أنَّها تقوم يوم الجمعة، قال: « خيرُ يـوم طلعـت عليـه الشـمس يوم الجمعة؛ فيـه خُلـق آدم، وفيـه أُدخـلَ الجنَّـة، وفيـه أُخـرجَ منهـا، ولا تقـوم السـاعةُ إلاَّ فـي يـوم الجمعة » رواه مسلم (854).

2 ـ والساعةُ تُطلقُ ويُراد بها الموت عند النفخ فـي الصـور، كمـا قـال ﷺ: « لا تقـومُ السـاعة إلاَّ على شـرار النـاس » رواه مسـلم (2949) وكـلُّ مَن مات قبـل ذلـك فقـد جـاءت سـاعتُه وقـامت قيامتُه، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء.

وتُطلقُ ويُرادُ بها البعث، كما قال الله عزَّ وجلَّ في آل فرعون: [illegible] ، وقال: [illegible]، وهم إنَّما أنكروا البعثَ كمـا قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible].

3 ـ قـوله: « **وأنَّ السَّـاعةَ آتيَـةٌ لا رَيْـبَ**

فيهـا، وأنَّ اللـهَ يَبعَـثُ مَـن يَمـوتُ، كمـا بدأهم يعـودون))، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقد نصَّ في هـذه الآيـة علـى بعث مَن في القبور؛ إذ الغالب على النـاس أنَّهـم يُدفنون في القبور، والبعثُ يكون لكلِّ مَـن مـات قُـبرَ أو لـم يُقبَـر، كمـا قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وعبارةُ المؤلِّف: ((وأنَّ اللهَ يبعث مَن يموت)) تشملُ كلَّ مَن مات قُبر أو لَـم يُقبَر، ولعلَّه اختار هذه العبارةَ لشمولِها.

4 ـ كثيراً ما يأتي في القرآن تقريرُ أمر البعث ببيان ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التنبيهُ بخلق الإنسان أوَّلَ مـرَّة، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible]، وقال سبحانه: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible] ، وقال تعالى: [illegible]

[illegible].

الأمر الثاني: التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها، قال الله عزَّ وجلَّ:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]، وقال سبحانه: [illegible]

[illegible]

[illegible]، وقــال: [illegible]

[illegible]، وقــال تعــالى: [illegible]

[illegible]، وقال عزَّ وجــلَّ: [illegible]

[illegible]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible] **.**

الأمــر الثــالث: التنــبيهُ بخلــق الســموات والأرض وهو أعظم من خلق الناس، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال تعــالى: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]، وقال: [illegible] الآيات.

5 ـ البعثُ يوم القيامة يكون بإعـادة الأجسـاد التي كانت فـي الـدنيا لتلقـى مـع الأرواح الثـواب والعقاب، وليس لأجساد جديدة لم تكن موجــودةً

فـي الـدنيا، وهـذا هـو الـذي اسـتبعده الكفَّـارُ وأنكروه، قال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فبيَّن سبحانه أنَّه عالِم بكلِّ ذَرَّة مـن ذرَّات أجسـادهم الـتي تنقصـها الأرض منهـم، فيُعيـدُها كمـا كـانت فيبعـث ذلـك الميـت بجسده الذي كان عليه في الدنيا، وقال تعـالى: [illegible]، والمعنى كما ذكر ابن كثير عن جماعـة مـن السـلف أنَّ إبراهيـم عليـه الصـلاة والسـلام قطـع الطيـورَ الأربعـة وخلـط لحومَهـا، وجعل على كلِّ رأس جبل منها قطعة، ثم دعاهنَّ فتجمَّعت أجزاءُ كـلِّ طـائر، حـتى عـادت الطيـورُ على ما كانت عليه، وأتت إليه سعياً.

وقال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]، وهذه الآياتُ تدلُّ على أنَّ الأجسادَ التي في الدنيا هـي الـتي أُعيـدَت وشـهدت الأسـماعُ والأبصـارُ والجلودُ بالمعاصي التي عملها أصحابُها.

ومثل هذه الآيات قوله تعالى: [illegible] وقوله تعالى: [illegible].

ويدلُّ على ذلك من السُّنَّة حديث قصَّة الرَّجـل الـذي أوصـى بَنِيـه إذا مـات أن يحرقـوا جسـدَه ويَرموا جزءاً من رماده في البَرِّ وجـزءاً منـه فـي البحر، فأمر الله عزَّ وجلَّ البحرَ بأن يُخرج ما فيه، والبَرَّ بأن يُخرج ما فيه، حتى عاد الجسدُ كما كان،

والحـــديث رواه البخـــاري (7506)، ومســـلم (2756) من حديث أبي هريرة ﷺ.

* * *

16 ـ قــوله: ((**وأنَّ اللــهَ ســبحانه وتعــالَى ضاعَفَ لعباده المؤمنين الحسَنات، وصَفَحَ لهم بالتَّوبَــة عــن كبــائرِ الســيِّئات، وغَفَــرَ لهم الصَّغائِرَ باجْتناب الكبائِر، وجَعَــلَ مَــن لَم يَتُبْ مِنَ الكبائر صَائراً إلى مَشيئَتِه** [illegible])).

1 ـ من فضل الله عزَّ وجــلَّ علــى عبــاده أنَّــه يُضاعف لهـم الحسـنات، ومـن عـدله أنَّـه يَجـزي على السيِّئة مثلَها، قال الله عزَّ وجــلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقــال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال ﷺ ((كلُّ عمل ابن آدم يُضاعف؛ الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عزَّ وجلَّ: إلاَّ الصوم فإنَّه لِي وأنا أجزي به ...)) الحديث، رواه مسلم (1151) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي صحيح البخاري (6491) ومسلم (131) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النَّبِيّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ قال: ((إنَّ الله كتب الحسنات والسيِّئات، ثمَّ بيَّن ذلك، فمَن همَّ بحسنة فلَم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومَن همَّ بسيِّئة فلَم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيِّئة واحدة)).

ومن فضل الله وإحسانه أنَّ العبدَ إذا كان

يعملُ أعمالاً صالِحةً، وشغله عنها مرضٌ أو سـفر كتب اللهُ له في حال سفره ومرضه مثل ما كتب له في حال صحَّته وإقامته؛ لقوله ﷺ: « إذا مرض العبدُ أو سافر كُتب له مثلُ ما كـان يعمـلُ مقيمـاً صحيحاً » رواه البخاري (2996) عن أبي موسى رضي الله عنه.

2 ـ الفرقُ بين الكبيرة والصغيرة، أنَّ الكـبيرةَ هي ما جُعل له حدٌّ في الدنيا أو توعد عليـه بلعنـة أو غضـب أو نـار أو حبـوط عمـل ونحـو ذلـك، والصغيرة ما لم تكن كذلك.

والكبائر تُكفِّرُها التوبةُ؛ قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقـال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾، وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾.

وللتوبة النَّصوح شروطٌ ثلاثة:

الأول: أن يُقلعَ عـن الـذنب بـأن يـتركه ويبتعـد عنه.

الثاني: أن يندمَ على ما مضى من فعل الذنب.

الثالث: أن يعقدَ العزم على أن لا يعودَ إليه.

وإذا كان الذنب يتعلَّق بحقوق الآدميِّين فيُضاف إلى ما تقدَّم شرطٌ رابع، وهو أن يَردَّ الحقوقَ إلى أهلها إن كانت أموالاً، أو يستبيحَهم منها إذا كـانت غيبة لهم أو كذباً عليهم، ونحو ذلك، قال اللـه عـزَّ وجـــلَّ:

[illegible]، وقال: [illegible]، والآيةُ تدلُّ على أنَّ الكفـرَ وهـو أعظـمُ الـذنوب يغفـره اللـه بالتوبة منه، والانتهاء عنه، وكلُّ الـذنوب دون هـذا الذنب فهي أولَى بالمغفرة إذا تيبَ منها.

والكبيرةُ إذا كان لها حدٌّ في الدنيا وأُقيـم علـى مَن ارتكبها، كان ذلك كفَّارةً له؛ لأنَّ إقامةَ الحدود عند أهل السُّنَّة والجماعة فيها جبر النَّقص، وفيهـا أيضاً الزَّجر لِمَن أُقيم عليه الحد وغيره عـن فعـل تلـك الكـبيرة، ويـدلُّ لـذلك حـديث عبـادة بـن

الصامت ﷺ: أنَّ رسول الله قال وحوله عصابة من أصحابه: « بايعونِي على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببُهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمَن وفَّى منكم فأجره على الله، ومَن أصاب من ذلك شيئاً فعُوقب به في الدنيا فهو كفَّارةٌ له، ومَن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستَرَه الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك » رواه البخاري (18)، ومسلم (1709).

3 ـ الصغائرُ تُكفَّرُ بالأعمال الصالحة وباجتناب الكبائر، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] **.**

وروى مسلم في صحيحه (228) عن عثمان بن عفَّان ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « ما من امرئ مسلم تحضره صلاةٌ مكتوبة، فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلاَّ كانت كفَّارةً لِما قبلها من الذنوب ما لَم يؤت كبيرة، وذلك الدَّهر كلّه ».

وروى مسلم أيضاً (233) عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: « الصلوات

الخمس، والجمعـة إلـى الجمعـة، ورمضـان إلـى رمضان، مكفِّرات ما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر ».

والصــغيرةُ تضــخم وتعظــم إذا أُصِــرَّ عليهــا، والكبيرةُ تتضاءل وتتلاشـى إذا نُـدم علـى فعلهـا، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: « لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار ».

4 ـ إذا مات المسلمُ مرتكباً كبيرةً ولـم يَتُـبْ منها، فإنَّ أمرَه إلى الله عزَّ وجلَّ، إن شـاء عـذَّبه وإن شاء عفا عنه، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال ﷺ في حديث عبادة بن الصامت الـذي تقـدَّم قريبـاً: « ... ومَـن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستَرَه الله فهو إلى اللــه، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه ».

* * *

17 ـ قوله: « **ومَن عاقَبَه اللهُ بنارِه أخرجـه مِنها بإيمانِه، فـأدخَلَه بـه جَنَّتَـه** [illegible]

النَّبِيّ ﷺ مَن شَفَعَ لَه مِن أهلِ الكبائِر مِن أمَّتِه)).

مَن ارتكب كبيرةً وتاب منها تاب الله عليه، ومَن ارتكب كبيرةً ومات من غير توبة فأمرُه إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، والذين يدخلون النارَ صنفان:

أحدهما: الكفَّار، وهؤلاء يبقون في النار أبد الآباد، لا سبيل لهم إلى الخروج منها، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible].

والصنف الثاني: مسلمون عُصاة، وهؤلاء إذا دخلوا النارَ عُذِّبوا فيها على قدر جُرمهم، ثم يخرجون منها بما عندهم من الإيمان وشفاعة الشافعين، قال رسول الله ﷺ: ((يُدخل اللهُ أهلَ الجنَّة الجنَّة، يُدخلُ مَن يشاء برحمته، ويُدخل أهلَ النار النار، ثم يقول: انظروا مَن وجدتُم في قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيمان فأخرجوه،

فيُخرَجون منها حُمَماً قد امتُحشـوا، فيُلْقَـون فـي نهر الحياة أو الحيا، فيَنبتُون فيه كمـا تنبُـت الحبَّـة إلى جانب السَّيل، ألَم تروها كيـف تخـرج صـفراء مُلتوية؟)) رواه البخاري (22) ومسلم (304) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وقــال رســول اللــه ﷺ: ((لكــلِّ نَبِــيٍّ دعــوةٌ مستجابة، فتعجَّلَ كلُّ نَبِيٍّ دعـوتَه، وإنِّـي اختبـأتُ دعوتِي شفاعة لأمَّتِي يوم القيامة، فهي نائلـةٌ إن شاء الله مَن مات من أمَّتِي لا يُشرك بالله شيئاً)) رواه البخاري (6304)، ومسلم (338) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي هريرة ﷺ.

وأحاديثُ الشفاعة في خروج العُصاة من النـار متواترةٌ، وأمَّا ما جاء مـن ذكـر الخلـود فـي النـار لبعض العُصاة، كما في قـوله سـبحانه وتعـالى: ﴿ [illegible] ﴾، وكما في قوله ﷺ: ((مَـن تـردَّى من جبل فقتل نفسَه فهـو فـي نـار جهنَّـم يـتردَّى فيها خالداً مُخلَّـداً فيهـا أبـداً، ومـن تَحسَّـى سُـمًّا فقتلَ نفسَه، فسُمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنَّم خالداً مُخلَّداً فيها أبداً، ومَن قتـل نفسَـه بحديـدة، فحديدتُه في يده يَجأُ بها في بطنه فـي نـار جهنَّـم

خالداً مُخلَّداً فيها أبداً)) رواه البخاري (5778) ومسلم (175) من حديث أبي هريرة ﷺ، فإنَّ ذلك الخلودَ خلودٌ نسبِيٌّ، يُرادُ به طول البقاء، لكنَّه ليس كخلود الكفَّار الذين يبقون في النار إلى غير نهاية؛ لأنَّ كلَّ ذنب دون الشِّرك تحت مشيئة الله، كما قال الله: [illegible].

* * *

18 ـ قوله: ((**وأنَّ اللهَ سبحانه قد خَلَقَ الجَنَّةَ فأَعَدَّها دارَ خُلُود لأوليائِه، وأكرَمهم فيها بالنَّظر إلَى وَجْهِه الكريم، وهي الَّتِي أَهْبَطَ منها آدَمَ نبِيَّه وخلِيفَتَه إلى أَرضِه، بِما سَبَقَ فِي سابِق عِلمِه، وخَلَق النَّارَ فأعَدَّها دَارَ خُلُود لِمَن كَفَرَ به وألْحَدَ في آياتِه وكتُبه ورُسُلِه، وجَعَلَهم مَحجُوبِين عن رُؤيَتِه)).**

1 ـ الجنَّةُ والنَّارُ مخلوقتان موجودتان الآن، أعدَّ الله الجنَّةَ لأوليائه، وأعدَّ النَّارَ لأعدائه، فمن الآيات التي فيها إعداد الجنَّة لأوليائه قوله تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible].

ومن الآيات التي فيها إعداد النار لأعدائه قــوله تعــالى: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقــوله: [illegible]، ويدلُّ من السُّــنَّة لكــون الجنَّــة والنَّــار موجــودتَين الآن حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة الكسوف، وفيه: « قالوا: يا رســول اللــه! رأينــاك تناولتَ شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كَعْكَعْتَ، قال ﷺ: إنِّي رأيتُ الجنَّةَ، فتناولتُ عنقوداً، ولو أصــبته لأكلتُم منه ما بقيت الـدنيا، وأُريــتُ النــار، فلَــم أرَ منظَــراً كــاليوم قــطُّ أفظــع، ورأيــتُ أكــثرَ أهلهــا

النســــــاء ...)) الحـــــــديث، رواه البخـــــــاري (1052)، ومسلم (907).

وأمَّا ما جاء عن بعض المبتدعة كالمعتزلة مــن أنَّهما لا تُخلقان إلاَّ يوم القيامة؛ لأنَّ خلقَهمــا قبــل ذلك عبثٌ، حيث إنَّهما تبقيان مدَّة طويلــة دون أن ينتفــع بالجنَّــة أحــدٌ ودون أن يتضــرَّر بالنَّــار أحــد، فذلك قولٌ باطل، ويدلُّ لبطلانه وجوه:

الأول: مــا جــاء فــي الآيــات والأحــاديث الدَّالــة على خَلْقِهما ووجودِهما قبــل يــوم القيامــة، ومــن ذلك ما تقدَّم قريباً.

الثاني: أنَّ وجودَ الجنَّة فيه ترغيبٌ بها وتشويقٌ إليها، ووجودَ النار فيه تحذيرٌ منها وتخويف.

الثالث: أنَّه قد جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة ما يدلُّ على حصول الانتفاع بنعيم الجنَّة قبل يــوم القيامة، وما يدلُّ على التضرُّر بعــذاب النــار قبــل يوم القيامة، قال الله عزَّ وجلَّ في آل فرعــون: ﴿ [illegible] ﴾، فالآيةُ تدلُّ على أنَّهم يُعذَّبون في النار وهم في قبورهم، وإذا حصل البعــث انتقلــوا إلــى عذاب أشدَّ.

وأمَّــا الجنَّــة فقــد جــاء فــي الحــديث أنَّ أرواح

الشهداء في أجواف طير خُضر، لها قناديل معلَّقة بالعرش، تسرحُ من الجنَّة حيث شاءت، ثم تـأوي إلى تلك القناديل، رواه مسلم (1887) عـن عبـد اللـه بـن مسـعود ﷺ، وروى الإمـام أحمـد فـي مسـنده (15778) عـن الإمـام الشـافعي، عـن الإمام مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ((إنَّما نسَمة المؤمن طائرٌ يعلقُ في شـجر الجنَّـة حـتى يُرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثُه))، وهو حديث صحيح، في إسـناده ثلاثـة مـن الأئمـة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة لأهل السنَّة، قال الإمام ابن كثير في تفسـيره عنـد قـول اللـه عزَّ وجلَّ: [illegible]:

((وقد رُوِّينا فـي مسـند الإمـام أحمـد حـديثاً فيـه البشارة لكلِّ مؤمن بأنَّ روحَـه تكـون فـي الجنَّـة تسرَح أيضاً فيها وتأكل من ثمارها، وترى ما فيهـا من النَّضرة والسرور، وتشاهدُ ما أعدَّ الله لها مـن الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيـه ثلاثة من الأئمَّة الأربعة أصحاب المذاهب المتَّبَعـة)) ثم ذكر سندَ الحديث ومتنَه.

وفي حديث البراء بن عـازب ﷺ الطويـل فـي

مـوعظته ﷺ عنـد القـبر الـذي يُلحَـد، قـال فـي المؤمن: « فأَفرِشـوه مـن الجنَّـة، وأَلبِسـوه مـن الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتيه مـن رَوْحها وطيبها، ويُفسَح له في قـبره مـدَّ بصـره »، وقـال فـي الكـافر: « فأفرِشـوا لـه مـن النَّـار، وافتحـوا لـه بابـاً إلـى النَّـار، فيـأتيه مـن حرِّهـا وسَـمومِها، ويضـيق عليـه قـبرُه حـتى تختلـف أضـلاعُه »، وهـو حـديث حسـن، رواه أحمـد فـي مسنده (18534).

والأحاديث في عـذاب القـبر والاسـتعاذة بـالله منه كثيرة، وهذه الأدلَّـة تـدلُّ علـى أنَّ المـؤمنين يُنعَّمون فـي قبـورهم، والكـافرين يُعـذَّبون فيهـا، والنَّعيمُ والعذابُ يكون للأرواح والأجساد.

2 ـ الجنَّة والنَّارُ باقيتان لا تفنيـان ولا تبيـدان، وأهل الجنَّة منَعَّمون فيها إلى غير نهايـة، والكفَّـار مُعذَّبون في النار إلى غير نهاية، ومن الآيات التي جاءت في بقاء الجنَّة وخلودِ أهلها فيها قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]

﴿[illegible]﴾، وقوله: ﴿[illegible]﴾، وقوله: ﴿[illegible]﴾، وقوله: ﴿[illegible]﴾.

ومن الآيات التي جاءت في بقاء النار وخلود الكفار فيها قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿[illegible]﴾، وقوله: ﴿[illegible]﴾، وقوله: ﴿[illegible]﴾، وقوله: ﴿[illegible]﴾، وقوله: ﴿[illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

وبقاءُ الجنَّة والنَّار وخلودُ أهلهما فيهما إلى غير نهاية لا يُنافي كون الله عزَّ وجلَّ الآخرَ الذي ليس بعده شيء؛ لأنَّ بقاءَ الله عزَّ وجلَّ لازمٌ لذاته، وبقاءَ الجنَّة والنار وأهلِهما فيهما حصل بإبقاء الله لهما، وليس لهما إلاَّ الفناء لولا إبقاء الله لهما، وقد تقدَّمت الإشارةُ إلى هذا عند قول المؤلِّف: ((ليس لأوليَّته ابتداء، ولا لآخريَّته انقضاء)).

3 - قوله: ((**وهي الَّتِي أَهْبَطَ منها آدَمَ نبِيَّه وخلِيفَتَه إلى أَرضِه، بِما سَبَقَ فِي سابِق عِلمِه**))، هذا أحدُ أقوال ثلاثة في المراد بالجنَّة التي أُهبط منها آدم إلى الأرض، وهو

أظهرُها.

والقول الثاني: أنَّها جنَّـة فـي مكـان عـالٍ مـن الأرض.

والقول الثالث: التوقُّف.

وقـد ذكـر ابـن القيـم الخلافَ وأدلَّـةَ أصـحاب القـول الأول والثـاني، وإجابـةَ كـلٍّ منهمـا عمَّـا استدلَّ به الآخر، ولَم يُرجِّح شيئاً، وذلك في كتـابه حـادي الأرواح (ص:16 ـ 32)، وفـي قصـيدته الميميـة مـا يـدلُّ علـى ترجيحـه القـولَ الأول، حيث قال:

فحـيَّ عـل جنَّـات عـــدن فإنَّهـــا	منازلك الأولَى وفيها المخيَّـــــــــــم
ولكنَّنا سَبي العدو فهل ترى	نعـود إلــى أوطانــنا ونسلَّـم

4 ـ رؤية المؤمنين ربَّهم بأبصارهم فـي الـدار الآخرة، هي أكبر نعيم يحصل لهم في دار النَّعيـم، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فمن أدلَّة الكتاب قول الله عزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقوله: [illegible]، قـال الشافعي رحمه الله: ((لَمَّا حُجب هؤلاء في حـال

السخط، دلَّ على أنَّ المـؤمنين يرونـه فـي حـال الرِّضَى))، وقوله: [illegible] الحُسنَى: الجنَّة، والزيادة: النَّظرُ إلى وجه الله عزَّ وجلَّ، فسَّرها بذلك رسـول اللـه ﷺ، كما فـي صـحيح مسـلم (297) عـن صُـهيب ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ((إذا دخـل أهـلُ الجنَّـة الجنَّـة، قـال: يقـول اللـه تبـارك وتعـالى: تريـدون شـيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألَم تبيِّض وجوهَنا؟ ألَم تُـدخلنا الجنَّة وتنجنا من النار؟ قـال: فيكشـف الحجـاب، فما أُعطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلـى ربِّهـم عــزَّ وجــلَّ، ثــم تلا هــذه الآيــة [illegible])).

وقوله تعالى: [illegible] وهو يدلُّ علـى إثبـات الرؤيـة بـدون إدراك، فهو يُرى ولا يُدرَك، أي: لا يُحاطُ به رؤيــةً، كما أنَّه يُعلـمُ ولا يُحـاطُ بـه علمـاً، ونفـيُ الإدراك وهو أخصُّ، لا يستلزم نفي الرؤية وهي أعمُّ.

وقوله: [illegible]، وموسى عليه الصلاة

والسـلام سـأل اللـهَ أمـراً مُمكنـاً، ولَـم يسـأله مستحيلاً، والله عزَّ وجلَّ شاء ألاَّ يُرَى إلاَّ في الدار الآخرة؛ لأنَّ رؤيتَه أكملُ نعيم يكون فيها، وقوله: ﴿ ﴾، أي: في الدنيا.

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - هذه الأدلَّة من الكتاب وغيرها في كتاب حادي الأرواح (ص:179 ـ 186)، ثـم ذكـر الأدلَّـة مـن السُّـنَّة عـن سـبعة وعشرين صحابيًّا، وساق أحاديثهم، ثم ذكـر الآثـارَ عـن الصـحابة والتـابعين ومَـن بعـدهم مـن أهـل السُّـنَّة والجماعـة، وهـي تـدلُّ علـى الاتِّفـاق والإجماع على ذلك من الصحابة ومَـن سـار علـى طريقتهم.

* * *

19 ـ قوله: « **وأنَّ اللهَ تبارك وتعالى يَجيءُ يَومَ القيامَـةِ وَالمَلَـكُ صَـفًّا صَـفًّا؛ لِعَـرْضِ الأُمَـمِ وَحِسَـابِهَا وعقُوبَتِهـا وثَوابِهـا، وتُوضَـعُ المـوازِينُ لَـوَزْنِ أَعْمَـالِ العِبَـادِ، فمَـن ثَقُلَـتْ مَـوَازِينُهُ فَأولئـك هـم المُفلِحون، ويُؤْتَوْنَ صَحائِفهم بأعمَـالِهم، فمَن أُوتِي كتابَه بيمينـه فسـوف يُحاسَـبُ حِسـاباً يَسـيراً، ومَـن أُوتِـي كتـابَه ورَاء**

ظَهْرِه فأولئِك يَصْلَوْنَ سَعيراً ».

1 ـ مجيءُ الله عزَّ وجلَّ يـوم القيامـة لفصـل القضاء من صفات أفعاله، يفعلُ ما يشاء ويحكــم ما يريد، والقولُ في المجيـء كـالقول فـي سـائر الصفات، أنَّه على ما يليق بالله، مـن غيـر تكييـف أو تمثيل، ومن غير تأويل أو تعطيل، قال الله عــزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: « يعنِي لفصل القضــاء بين خلقه، وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيِّد ولد آدم علـى الإطلاق محمـد صـلوات اللـه وسـلامه عليـه، بعـدما يسـألون أولـي العـزم مـن الرُّسـل واحداً بعد واحـد، فكلُّهـم يقـول: لسـت بصـاحب ذاكم، حتى تنتهي النَّوبةُ إلـى محمـد ﷺ، فيقـول: أنا لها، أنا لها، فيذهبُ فيشفعُ عند الله تعالى فــي أن يأتي لفصل القضاء، فيشفِّعُه اللـه تعـالى فـي ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود كما تقدَّم بيانه في سورة سبحان، فيجيـء الـرَّبُّ تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكـةُ يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً ».

وأولو العزم من الرُّسل المستَشـفَع بهـم قبـل نبيِّنــا محمــد ﷺ هــم نــوح وإبراهيــم وموســى وعيسى، وهم المذكورون في ســورتَي الأحــزاب

والشورى، في قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible] وقوله: [illegible].

2 - يُعرَض العبادُ على اللـه فيُحاسـبُهم علـى أعمـالهم، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـــــــــال: [illegible]، وقــال: [illegible]، وقــال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

وقال رسول الله ﷺ: « مَن حوسب عُذِّب، قالت عائشة: فقلت: أوَليس يقول الله: [illegible]، قالت: فقال: إنَّما ذلكِ العَرْض، ولكن مَن نُوقش الحساب يهلك » رواه البخاري (103)، ومسلم (2876).

3 ـ تُحصَى أعمال العباد ثمَّ توزَن، فمَن ثقلت موازينه نجا، ومن خفَّت موازينه هلك، قال الله

عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقـال: [illegible].

وقال رسول الله ﷺ: ((الطُّهور شطرُ الإيمـان، والحمد لله تملأُ الميزان، وسـبحان اللـه والحمـد لله تَملآن أو تَملأ ما بين السموات والأرض)) رواه مسلم (223)، وقال رسـول اللـه ﷺ: ((كلمتـان حبيبتـان إلـى الرحمـن، خفيفتـان علـى اللِّسـان، ثقيلتـان فـي الميـزان: سـبحان اللـه وبحمـده،

سـبحان اللـه العظيـم)) رواه البخـاري (7563)، ومسلم (2694).

والأعمـالُ وإن كـانت أعراضـاً فـالله يجعلهـا أجساماً توضَع فـي الميـزان، والحكمـة مـن وزن أعمال العباد إظهار عدل الله وإيقاف العبد علـى أعماله؛ فإنَّه سبحانه وتعالى عليمٌ بكلِّ شيء.

والـوزنُ كمـا يكـون للأعمـال يكـون لصـحائف الأعمال، كما في حديث البطاقة والسِّجِلاَّت، قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ سيُخلِّصُ رجلاً من أمَّتِي على رؤوس الخلائق يـوم القيامـة، فينشـر عليـه تسعة وتسعين سجلاًّ، كلُّ سجِلٍّ مثلُ مـدِّ البصـر، ثمَّ يقـول: أتُنكـرُ مـن هـذا شـيئاً؟ أَظَلَمَـكَ كَتَبَتِـي الحـافظون؟ فيقـول: لا يـا ربِّ! فيقـول: أَفَلَـك عُـذر؟ فيقـول: لا يـا ربِّ! فيقـول: بلـى، إنَّ لـك عندنا حسنة، فـإنَّه لا ظُلـم عليـك اليـوم، فتخـرج بطاقة فيهـا: أشـهد أن لا إلـه إلاَّ اللـه وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، فيقول: احضُـر وزنـك، فيقول: يا ربِّ! ما هذه البطاقة أمام السِّـجِلات؟ فقال: إنَّك لا تُظلَم، قال: فتُوضَـع السِّـجِلاَّت فـي كفَّـة والبطاقـة فـي كفَّـة، فطاشـت السِّـجِلاَّت وثقلت البطاقةُ، فلا يثقُلُ مـع اسـم اللـه شـيء))

أخرجه الترمذي (2639) وحسَّنه، والحاكم (1/6) وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (135).

* * *

20 ـ قوله: « وأنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُه العبادُ بِقَدْرِ أعمالِهم، فناجُون مُتفاوِتُون في سُرعَة النَّجاةِ عليه مِن نار جَهَنَّم، وقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فيها أعمالُهم ».

الصِّراطُ حقٌّ ثابتٌ بسُنَّة رسول الله ﷺ، وهو جسرٌ منصوبٌ على متن جهنَّم، يَمرُّ عليه المسلمون للوصول إلى الجنَّة على قَدْر أعمالهم، فمنهم مَن يَمُرُّ كالبرق، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيح، ومنهم مَن يَزحف زحفاً، ففي صحيح البخاري (806)، ومسلم (299) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه: « فيُضربُ الصِّراطُ بين ظهرانَي جهنَّم، فأكون أوَّلَ مَن يجوز من الرُّسل بأمَّته، ولا يتكلَّمُ يومئذ أحدٌ إلاَّ الرُّسُل، وكلامُ الرُّسل يومئذ: اللَّهمَّ سلِّم سلِّم، وفي جهنَّم كلاليب مثل شَوك السَّعدان، هل رأيتُم شَوكَ

السَّعدان؟ قـالوا: نعـم، قـال: فإنَّهـا مثـل شـوك السَّعدان، غير أنَّـه لا يَعلـمُ قـدر عِظَمهـا إلاَّ اللـه، تَخطفُ الناسَ بأعمالِهم، فمنهم مَن يُوبَقُ بعملـه، ومنهم مَن يُخردَل ثم ينجو ».

وفـي صـحيح مسـلم (329) مـن حـديث أبـي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، وفيه: « وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحم، فتقومـان جنبَتَـي الصِّـراط يمينـاً وشمالاً، ويَمُرُّ أوَّلُكـم كـالبرق، قـال: قلـت: بـأبي أنت وأمِّي! أيُّ شـيء كمَـرِّ الـبرق؟ قـال: أوَ لَـم ترَوا إلى البرق كيف يَمُرُّ ويرجع في طرفة عيـن؟ ثمَّ كمَرِّ الرِّيح، ثمَّ كمرِّ الطير وشدِّ الرِّجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيُّكم قائمٌ علـى الصِّـراط يقـول: ربِّ سلِّم سلِّم! حتى تعجـز أعمـالُ العبـاد، حتَّـى يجيء الرَّجل فلا يستطيع السـيرَ إلاَّ زحفـاً، قـال: وفي حافتَي الصِّراط كلاليب معلَّقة، مأمورةٌ بأخذ مَن أُمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدُوسٌ في النَّـار ».

وفـي صـحيح مسـلم (302) مـن حـديث أبـي سعيد الخـدري ﷺ، وفيـه: « ثـمَّ يُضـرَبُ الجسـرُ على جهنَّم وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللَّهمَّ سلِّم

سلِّم، قيل: يـا رسـول اللـه! ومـا الجسـرُ! قـال: دحـضٌ مزلَّـة، فيـه خطـاطيفُ وكلاليـبُ وحسـك، تكون بنَجد فيها شُويْكةٌ يُقال لها السَّـعدان، فيَمُـرُّ المؤمنـون كطـرْف العيـن، وكـالبرق، وكالرِّيـح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مُسـلَّمٌ، ومخدوشٌ مرسَل، ومكدوسٌ في نار جهنَّم ».

* * *

21 ـ قوله: « **والإيمانُ بِحَوْض رسـولِ اللـه ﷺ، تَـرِدُهُ أمَّتُـهُ لاَ يَظْمَـأُ مَـن شَـرب مِنـه، ويُذَادُ عنه مَنْ بَدَّلَ وغَيَّرَ** ».

أحاديثُ حوض نبيِّنا ﷺ متواترةٌ عن رسول الله ﷺ، أورد البخـــــــــــــــــــــــــاري - رحمه الله - في بـاب: فـي الحـوض، مـن كتـاب الرقاق من صحيحه منها تسعة عشر طريقاً من (6575 _ 6593)، وذكـر الحـافظ فـي الفتـح أنَّ الصحابةَ فيها يزيدون على خمسين صـحابيًّا، ذكـر خمسة وعشرين منهم نقلاً عن القاضـي عيـاض، وثلاثة نقلاً عـن النـووي، وزاد عليهمـا قريبـاً مـن ذلك، فزادوا على الخمسين صحابيًّا (11/468 _ 469)، وأورد الإمامُ ابن كـثير فـي كتـاب النهايـة أحـاديثَ الحـوض عـن أكـثر مـن ثلاثيـن صـحابيًّا

(2/29 ـ 65)، ذكرها بأسانيد الأئمَّة الذين خرَّجوها غالباً.

ومِمَّا جاء في صفة حوض النَّبِيِّ ﷺ قولُه ﷺ: « حَوضِي مسيرة شهر، ماؤُه أبيضُ من اللَّبن، وريحُه أطيبُ من المسك، وكيزانُه كنجوم السماء، مَن شرب منها فلا يظمأ أبداً » رواه البخاري (6579) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ورواه مسلمٌ في صحيحه (2292) ولفظُه: « حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤُه أبيضُ من الوَرِق، وريحُه أطيب من المسك، وكيزانُه كنجوم السماء، فمَن شرب منه فلا يظمأُ بعده أبداً ».

وفي صحيح مسلم (2300) من حديث أبي ذر ﷺ، وفيه: « يشخبُ فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لَم يظمأ، عرضُه مثل طوله، ما بين عمَّان إلى أيلة، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللَّبن، وأحلَى من العسل ».

ومن الناس مَن يُذادُ عن ورود الحوض، فقد روى البخاري في صحيحه (6576) عن ابن مسعود ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: « أنا فرَطُكم على الحوض، وليُرفعَنَّ رجالٌ منكم، ثمَّ ليُختلَجنَّ

دونِي، فـأقول: يـا ربِّ أصـحابي! فيُقـال: إنَّـك لا تدري ما أحدثوا بعدك ».

والمراد بهؤلاء الأصحاب أُنـاسٌ قليلـون ارتـدُّوا بعد موت النَّبِـيّ ﷺ، وقُتلـوا علـى أيـدي الجيـوش المظفَّرة التي بعثها أبـو بكـر الصـديق ﷺ لقتـال المرتدِّين.

والرافضةُ الحاقـدون علـى الصـحابة تزعـمُ أنَّ الصحابةَ ارتدُّوا بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ نفراً يسـيراً منهم، وأنَّهم يُـذادون عـن الحـوض، والحقيقـة أنَّ الرافضةَ هم الجديرون بالذَّود عن حـوض رسـول الله ﷺ؛ لأنَّهم لا يغسلون أرجلَهم في الوضوء، بل يمسحون عليها، وقد قال رسول اللـه ﷺ: « ويـلٌ للأعقـاب مـن النـار » أخرجـه البخـاري (165) ومسـلم ((242)

من حديث أبي هريـرة ﷺ، وليسـت فيهـم سِـيمَا التحجيل التي قال فيها رسول الله ﷺ: « إنَّ أمَّتِي يُدعون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوضـوء » أخرجه البخاري (136) من حـديث أبـي هريـرة ﷺ.

وقد نبت في هذا الزمـان نابتـةٌ يزعـم أنَّـه مـن

أهل السُّنَّة وهو ليس منهم، بل هـو علـى طريقـة الرافضة الحاقدين على الصحابة، وهو حسـن بـن فرحان المالكي، نسبة إلى بنِي مالك فـي أقصَـى جنوب المملكة، وقد كتب رسـالة سـيِّئة بعنـوان: « الصحابةُ بين الصحبة اللغوية والصُّحبة الشرعية » زعم فيها أنَّ الصحابةَ هم المهاجرون والأنصـار قبل الحُديبية فقط، وأنَّ كلَّ مَن أسلَمَ وهاجر بعد الحُديبيـة أنَّـه ليـس لـه نصـيبٌ فـي الصـحبة الشـرعية، وأنَّ صـحبتَهم كصـحبة المنـافقين والكفـار، فـأخرج بـذلك الكـثيرين مـن أصـحاب رسول الله ﷺ، وفي مقـدِّمتهم العبـاس بـنُ عبـد المطلـب عـمُّ رسـول اللـه ﷺ، وابنُـه عبد الله بن عباس حبر الأمَّـة وترجمـان القـرآن، رضي الله تعـالى عنـه وعـن أبيـه وعـن الصـحابة أجمعيـن، كمـا أخـرج أبـا موسـى الأشـعريِّ وأبـا هريرة وخالد ابن الوليد وغيرَهم مِمَّن لا يُحصون، وهو قولٌ مُحدَث في القرن الخـامس عشـر، لَـم يسبقه إليه إلاَّ شابٌّ حديث السِّنِّ مثله اسمه عبد الرحمن بن محمد الحكمي، ومِمَّا جـاء فـي كتـابه السيِّء إنكارُ القول بعدالـة الصـحابة، وزعمُـه أنَّ أكـثرَ الصـحابة يُـذادون عـن حـوض الرسـول ﷺ،

وأنَّه يُؤمَرُ بهم إلـى النـار، وأنَّـه لا ينجـو منهـم إلاَّ القليـل مثـل همـل النعـم، وبهـذا يتـبيَّن مُمـاثلتُه للرافضـة الحاقـدين علـى الصـحابة، وقـد رددتُ عليـه فـي كتـاب بعنـوان: « الانتصـار للصـحابة الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي ».

ومِمَّا جاء في الكتـاب مِمَّـا يتعلَّـق بالـذَّود عـن الحوض ما يلي:

السابع: (أي من وجوه الـردِّ عليـه فـي إنكـاره عدالـــــــة الصـــــــحابة) قـــــــوله (ص:63): « ومن الأحاديث في الذمِّ العامِّ: قول النَّبِيِّ ﷺ في أحاديث الحـوض فـي ذهـاب أفـواجٍ من أصحابه إلى النَّار، فيقول النَّبِيُّ ﷺ: (أصحابي! أصحابي! فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك)، الحديث متفق عليه، وفي بعض ألفاظه في البخـاري: (فلا أرى ينجو منكم إلاَّ مثل هَمَل النَّعَم).

فيأتي المعارِض للثناء العام بهـذا الـذمِّ العـامِّ، ويقول: كيف تجعلون للصـحابة ميـزةً وقـد أخـبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو منهـم إلاَّ القليـلُ، وأنَّ البقيَّـةَ يؤخذون إلى النَّار ؟! ».

وقال عن هذا الحديث أيضـاً (ص:64):ـ « كمـا أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو من أصحابه يوم القيامـة

إلاَّ القليلُ (مثل همل النعم)، كما ثبت في صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ».

ويُجابُ عنه بأنَّ لفظَ الحديث في صحيح البخاري في كتاب الرقاق (6587) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: « بينا أنا نائمٌ فإذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمَّ، فقلتُ: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: وماشأنُهم؟ قال: إنَّهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثمَّ إذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمَّ، قلتُ: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ماشأنُهم؟ قال: إنَّهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم ».

قال الحافظ في شرحه: « قوله: (بينا أنا نائمٌ) كذا بالنون للأكثر، وللكشميهني (قائم) بالقاف، وهو أوجه، والمراد به قيامُه على الحوض يوم القيامة، وتوجه الأولى بأنَّه رأى في المنام في الدنيا ما سيقع له في الآخرة »، وقال أيضاً: « قوله: (فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم) يعني من هؤلاء الذين دَنَوْا من الحوض وكادوا

يَرِدونه فصُدُّوا عنه))، وقال أيضاً: ((والمعنى أنَّه لا يرِدُه منهم إلاَّ القليل؛ لأنَّ الهمل في الإبل قليلٌ بالنسبة لغيره)).

واللفظُ الذي ورد في الحديث: ((فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم)) أي من الزمرتين المذكورتين في الحديث، وهو لا يدلُّ على أنَّ الذين عُرضوا عليه هاتان الزمرتان فقط، والمالكي أورد لفظ الحديث على لفظ خاطئ لَم يرد في الحديث، وبناءً عليه حكم على الصحابة حكماً عاماًّ خاطئاً، فقال فيه: ((وفي بعض ألفاظه في البخاري: (فلا أرى ينجو منكم إلاَّ مثل همل النعم)، فجاء بلفظ ((منكم)) على الخطاب بدل ((منهم))، وبناءً عليه قال: ((كيف تجعلون للصحابة ميزة وقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو منهم إلاَّ القليل، وأنَّ البقية يُؤخذون إلى النار))، وقال:

((كما أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو من أصحابه يوم القيامة إلاَّ القليل (مثل همل النعم)، كما ثبت في صحيح البخاري _ كتاب الرقاق!!))، وهذا كذب

على الرسول ﷺ؛ فإنَّه لَم يُخبر أنَّ أصحابَه لَم يَنْجُ منهم إلاَّ القليل، ولعل هذا الذي وقع من المالكي حصل خطأً لا عمداً.

وأمَّا ما جاء في بعض الأحاديث مِن أنَّه يُذاد عن حوضه أُناسٌ من أصحابه، وأنَّه يقول ((أصحابي!)) وفي بعض الألفاظ ((أُصيْحابي!))، فيُقال: ((إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك))، فهو محمولٌ على القلَّة التي ارتدَّت منهم بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ، وقُتِلوا في ردَّتِهم على أيدي الجيوش المظفرة التي بعثها أبو بكر الصديق رضي الله عنه).

وأقول: إذا كان مصيرُ أكثر أصحاب رسول الله ﷺ إلى النار، وأنَّه لا ينجو منهم إلاَّ القليل: مثل هَمَل النَّعم بزعمِ هذا الزاعم، فليت شعري ما هو المصير الذي يُفكِّر به المالكي لنفسه؟!

نسأل الله السلامةَ والعافية ونعوذ بالله من الخذلان.

بل إنَّ الصُّحبةَ الشرعيَّة بزعم المالكي لَم تحصل إلاَّ للمهاجرين والأنصار قبل صلح الحُديبية، ومَن بعدهم ليسوا من الصحابة بزعمه، وعلى هذا فإنَّ قولَه: إنَّه لا ينجو من الصحابة إلاَّ القليل مثل هَمَل النَّعم، وأنَّ البقيَّة يُؤخذون إلى

النار، يكون المراد به الصحابة الذين كانوا قبل الحديبية، فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خيرُ هذه الأمَّة لا يَسلَمون من النار، فمَن الذي يَسلَمُ منها؟!

بل إنَّ اليهودَ والنصارى لَم يقولوا في أصحاب موسى وعيسى مثلَ هذه المقالة القبيحة.

وهذا يُبيِّن لنا منتهى السوء الذي وقع فيه المالكي، وإنَّ مَن يسمَع أو يطَّلع على كلامه في الصحابة، يتَّهمه في عقله أو يستدلُّ به على منتهى خُبثه وحقده على خير هذه الأمَّة، لا سيما زعمه أنَّ العبَّاس بنَ عبد المطلب وابنَه عبد الله رضي الله عنهما ليسا من الصحابة، وزعمه أنَّ أكثرَ الصحابة إلاَّ قليلاً منهم مثل همل النَّعم يُؤخذون إلى النار!

وأيضاً إذا كان أكثر الصحابة إلاَّ قليلاً منهم يُؤخذون إلى النار في زعم هذا الزاعم، مع أنَّ الكتابَ والسُّنَّة لم تصل إلى هذه الأمَّة إلاَّ عن طريق الصحابة؛ لأنَّهم الواسطةَ بين الناس وبين الرسول ﷺ، فأيُّ حقٍّ وهدى يكون بأيدي المسلمين؛ فإنَّ القدح في الناقل قدحٌ في

المنقـول، قـال أبـو زرعـة الـرازي المتـوفَّى سـنة (264هـ) رحمـه اللـه: « إذا رأيـت الرجـلَ ينتقـصُ أحـداً مـن أصـحاب رسـول اللـه ﷺ فـاعلم أنَّـه زنـديقٌ؛ وذلـك أنَّ رسـول اللـه ﷺ عنـدنا حـقٌّ والقرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسـننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنَّما يريدون أن يجرحـوا شـهودَنا ليُبطلـوا الكتـاب والسـنة، والجـرحُ بهـم أولى، وهم زنادقةٌ ». الكفاية للخطيـب البغـدادي (ص:49).

وسأكشف أباطيلَه الأخرى التي اشـتمل عليهـا كتابُه « قـراءة فـي كتـب العقائـد » وأدحضُـها إن شاء الله تعالى في كتابي: « الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في ردِّ أباطيل حسن المالكي ».

* * *

22 ـ قـوله: « **وأنَّ الإيمانَ قَـولٌ باللِّسـانِ، وإخلاَصٌ بالقلب، وعَمَـلٌ بـالجوارِح، يَزيـد بزيادَة الأعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها، فيكـون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولا يَكْمُلُ قَـولُ الإيمـانِ إلاَّ بالعمـل، ولا قَـولٌ وعَمَـلٌ إلاَّ بنِيَّـة، ولا قـولٌ وعَمَـلٌ وَنِيَّـةٌ إلاَّ بمُوَافَقَـة**

السُّنَّة. وأنَّه لا يكفرُ أَحـدٌ بـذَنب مِـنْ أهْـل القِبْلَة)).

1 ـ الإيمانُ عند أهل السُّنَّة والجماعـة يتـألَّف مــن اعتقــاد بــالقلب وقــول باللِّســان وعمــل بالجوارح، فهذه الأمورُ الثلاثة داخلـةٌ عنـدهم فـي مُسـمَّى الإيمـان، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، ففي هذه الآيات دخول أعمال القلوب وأعمال الجوارح في الإيمان.

وروى مسلم في صحيحه (58) عـن أبـي هريـرة ﷺ قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((الإيمـانُ بضـعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة، فأفضـلُها قـول لا إله إلاَّ اللـه، وأدناهـا إماطـة الأذى عـن الطريـق، والحيـاءُ شـعبة مـن الإيمـان))، فقـد دلَّ الحـديثُ على أنَّ ما يقوم بالقلب واللِّسان والجـوارح مـن الإيمان، وأمَّا ما جاء في القرآن مـن آيـات كـثيرة فيها عطف العمل الصالح على الإيمان، كمـا فـي

قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقـوله: [illegible] ، فلا يـدلُّ العطـف علـى عـدم دخول الأعمال في مسمَّى الإيمـان، بـل هـو مـن عطف الخاص على العام؛ وذلك أنَّ التفاوتَ بيـن النـاس فـي الإيمـان يكـون غالبـاً لتفـاوتهم فـي الأعمـال، وفـي الأقـوال أيضـاً؛ لأنَّ القـولَ عمـلُ اللِّسان، بل إنَّهم يتفـاوتون فيمـا يقـوم بقلـوبهم، قال الحافظ في الفتح (1/46) نقلاً عن النـووي: ((والأظهـرُ المختـار أنَّ التصـديق يزيـد وينقـص بكثرة النَّظـر ووضـوح الأدلَّـة، ولهـذا كـان إيمـانُ الصدِّيق أقوى من إيمـان غيـره؛ بحيـث لا يعـتريه الشُّبهة، ويؤيِّده أنَّ كلَّ أحد يعلمُ أنَّ مـا فـي قلبـه يتفاضل، حتى إنَّه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظـم يقينـاً وإخلاصـاً وتـوكُّلاً منـه فـي بعضـها، وكـذلك التصـديق والمعرفـة بحسـب ظهـور البراهين وكثرتها)).

2 ـ الذين أخرجوا الأعمال من أن تكون داخلةً

فـي مسـمَّى الإيمـان طائفتـان: المرجئـة الغلاة، الذين يقولون: إنَّ كلَّ مؤمن كاملُ الإيمـان، وأنَّـه لا يضرُّ مع الإيمـان ذنـبٌ، كمـا لا ينفـع مـع الكفـر طاعة، وهـذا القـول مـن أبطـل الباطـل، بـل هـو كفر.

ومرجئة الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم كأبي حنيفـة، الـذين قـالوا بعـدم دخـول الأعمـال فـي مسمَّى الإيمان، مع مخالفتهم للمرجئة الغلاة في أنَّ المعاصي تضرُّ فاعلَها، وأنَّه يُؤاخـذُ علـى ذلـك ويُعاقَب، وقولُهم غيرُ صحيح؛ لأنَّه ذريعةٌ إلى بـدع أهل الكلام المذموم مـن أهـل الإرجـاء ونحـوهم، وإلى ظهور الفسـق والمعاصـي، كمـا فـي شـرح الطحاوية (ص:470).

3 ـ الإيمانُ يزيد بالطاعة وينقـصُ بالمعصـية، فمـن أدلَّـة زيـادته قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـوله: [illegible]، وقـوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]
[illegible]، وقوله: [illegible]
[illegible].

ومن أدلَّة نقصانه قوله ﷺ: « من رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان » رواه مسلم (78).

وما جاء في حديث الشفاعة من إخراج مَن في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان من النار، رواه البخاري (7439) ومسلم (302) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وحديث وصف النَّبِيِّ ﷺ للنساء بأنَّهنَّ ناقصاتُ عَقل ودين، أخرجه البخاري (304) ومسلم (132).

قال الحافظ في الفتح (1/47): « وروى ـ يعني اللالكائي ـ بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثرَ من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص. وأطْنَب ابن أبي حاتم

واللاَّلكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين، وكلِّ من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين، وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السُّنَّة والجماعة ».

4 ـ الإسلامُ والإيمانُ من الألفاظ التي إذا جُمع بينهما في الذِّكر فرِّق بينهما في المعنى، وإذا أُفرد أحدُهما شَمل المعنيين جميعاً؛ ففي حديث جبريل المشهور الذي جُمع فيه بين الإسلام والإيمان، لَمَّا سُئل عن الإيمان فسَّره بما يُناسبُ معناه اللغوي، وهو الأمور الباطنة، بقوله: « أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر والقَدَر خيره وشرِّه »، ولَمَّا سُئل عن الإسلام فسَّره بما يُناسبُ معناه اللغوي، وهو الأمور الظاهرة، بقوله: « أن تشهدَ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلاً ».

وإذا ذُكر الإسلام غير مقترن بالإيمان كان معناه شاملاً للأمور الظاهرة والباطنة، وكذا إذا أُفرد الإيمانُ عن الإسلام، فإنَّه يشمل الأمورَ الظاهرة والباطنة، وهذا من جنس لفظ: « الفقير

والمسكين))، و((البر والتقوى))، وغير ذلك.

5 ـ لا بدَّ في الإيمان من اجتماع الأمور الثلاثة: الاعتقادُ والقول والعمل، فلا يكفي الاعتقاد والقول دون العمل، وكلُّ قول وعمل لا بدَّ أن يكون بنيَّة؛ لقوله ﷺ في الحديث: ((إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى)) أخرجه البخاري (1) ومسلم (1907).

واجتماع القول والعمل والنيَّة لا يكون نافعاً إلاَّ إذا كان على السُّنَّة؛ لقوله ﷺ: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ)) متفق عليه، وفي لفظ لمسلم: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ)).

6 ـ قوله: ((**ولا يكفرُ أحدٌ بذنب من أهل القبلة**)): إذا جحد المرءُ واجباً عُلم وجوبُه من الدِّين بالضرورة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، فإنَّه يَكفُر، وكذا إذا جَحَد تحريم ما عُلم تَحريمُه من الدِّين بالضرورة، كشرب الخمر والزنا ونحو ذلك فإنَّه يكفر، وأما إذا فعل شيئاً من الكبائر غير مستحلٍّ لها، فعند أهل السُّنَّة أنَّه يكون مؤمناً ناقصَ الإيمان، وإذا مات من غير توبة فأمرُه إلى الله، إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه، وإذا عذَّبه

فــإنَّه لا يخلــده فــي النــار، وذلــك بخلاف قــول المعتزلة والخوارج القائلين بخروجه مـن الإيمـان في الدنيا، وبتخليده في النار في الآخرة.

* * *

23 ـ قوله: ((**وأنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ عند ربِّهم يُرْزَقــونَ، وأرْواحُ أهْــل السَّــعادَةِ باقِيــةٌ ناعِمــةٌ إلــى يــوم يُبْعَثــون، وأرواحُ أهــلِ الشَّقاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إلى يَوم الدِّين**)).

قــال اللــه عــزَّ وجــلَّ: [illegible]، وقــال: [illegible]، وهذه الحياةُ حياةٌ برزخيَّة حقيقيَّــةٌ، لا يَعلـم كيفيتَهـا إلاَّ اللـه عـزَّ وجـلَّ، وجـاءت السُّـنَّةُ مبيِّنة أنَّ أرواحَ الشهداء في أجـواف طيـر خُضـر، وأنَّ أرواح المــؤمنين علــى صــورة طيــر، وأنَّ المؤمنَ يُفرَش له من الجنَّة، ويُفتَحُ لـه بـاب إلـى الجنَّة، ويأتيه من رَوْحها وطيبِهـا، ويُفسَـحُ لـه فـي قبره مدَّ بصره، وأنَّ الكافرَ يُفرَشُ لـه مـن النـار، ويُفتَــحُ لــه بــابٌ إلــى النــار، ويــأتيه مــن حرِّهــا

وسَمومها، ويضيقُ عليـه قبْـرُه حـتى تختلـفَ فيـه أضلاعُه، وقد تقدَّم إيرادُ هذه الأحاديث وتخريجُهـا عند قول ابـن أبـي زيـد: « وأنَّ اللـه سـبحانه قـد خلق الجنَّة فأعـدَّها دارَ خلـود لأوليـائه، وأكرمَهـم فيها بالنَّظر إلى وجهه الكريم ».

* * *

24 ـ قـوله: « **وأنَّ المؤمنِينَ يُفْتَنُـونَ فـي قُبُـــورِهم ويُسْـــأَلُون،** [illegible] ».

الناسُ يُفتَنون في قبـورهم ويُمتَحنـون، فيُثبِّـتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت فـي الحيـاة الـدنيا وفي الآخرة، وقد وردت الأحاديثُ في فتنة القـبر والسؤال فيه، فروى البخاري فـي صـحيحه (86) عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء، عـن عائشـة في قصة صلاة الكسوف، وفيه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: « ما من شيء لم أكن أُريتُه إلاَّ رأيتُه في مقـامي، حتى الجنَّة والنار، فأُوحي إلـيَّ أنَّكـم تُفتنـون فـي قبـوركم مثـلَ أو قريبـاً ـ لا أدري أيَّ ذلـك قـالت أسماء ـ من فتنة المسيح الدجال، يُقال: ما عِلمُك بهذا الرَّجـل؟ فأمَّـا المـؤمن أو المُـوقن ـ لا أدري

بأيِّهما قالت أسماء ـ فيقول: هو محمدٌ هو رسول الله، جاءنا بالبيِّنات والهُدى، فأجبنا واتَّبعنا، هو محمد ثلاثاً، فيُقال: نَمْ صالِحاً، قد علمنا إن كنتَ لَمُوقناً به، وأمَّا المنافق أو المرتاب ـ لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء ـ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلتُه ».

وروى البخاري في صحيحه (4699) عن البراء بن عازب ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: « المسلمُ إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿ [illegible] ﴾ ».

وفي مسند الإمام أحمد بإسناد حسن عن البراء بن عازب ﷺ في الحديث الطويل (18534)، وفيه: « فيأتيه ـ أي المؤمن ـ مَلَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: دينِي الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ ».

وفيه: « ويأتيه ـ أي الكافر ـ مَلَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري!

فيقولان لـه: مـا هـذا الرَّجـل الـذي بُعـث فيكـم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! ».

وفـي مصـنَّف عبـد الـرزاق (6744) عـن ابـن جريج قال: أخبرني أبو الزبير: أنَّه سَمع جـابر بـن عبد الله يقول: « إنَّ هذه الأمَّةَ تُبتَلَى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره، وتولَّى عنه أصحابُه، أتـاه ملَكٌ شديد الانتهار، فقال: ما كنتَ تقول في هــذا الرَّجل؟ فيقول المؤمن: أقول إنَّه رسول اللـه ﷺ وعبده، فيقول له المَلَكُ: اطَّلِعْ إلى مقعدك الـذي كان لك من النار، فقد أنجـاك اللـه منـه، وأبـدَلَك مكـانَه مقعـدَك الـذي تـرى مـن الجنَّـة، فيراهمـا كلتيهما، فيقول المؤمن: أُبشِّرُ أهلي؟ فيُقـال لـه: اسكن؛ فهذا مقعدُك أبداً، والمنافق إذا تولَّى عنـه أصحابُه يُقال له: ما كنتَ تقول في هـذا الرَّجـل؟ فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيُقال له: لا دريت، انظر مقعدَك الذي كان لـك مـن الجنَّـة، قد أبدلك الله مكانه مقعدَك من النار »، وإســناده صحيح، وله حكم الرفع.

وروى مسـلم فـي صـحيحه (588) عـن أبـي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللـه ﷺ: « إذا تشـهَّد أحدُكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللَّهـمَّ إنِّـي أعوذ بك مـن عـذاب جهنَّـم، ومـن عـذاب القـبر،

ومــن فتنــة المحيــا والممــات، ومــن شــرِّ فتنــة المسيح الدجال ».

وفي صحيح البخاري (1377) عن أبـي هريـرة قال: « كان رسول الله ﷺ يدعو: اللّهمَّ إنِّي أعـوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنــة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال ».

وهذه الأمور الثلاثة التي يُسأل عنها فـي القـبر ورد ذكرُها مجتمعة فـي حـديث العبـاس بـن عبـد المطلب في صحيح مسلم (56) أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً »، وجـاء ذكرُهـا أيضـاً فـي أدعيـة الصـباح والمسـاء، والـدعاء عنـد الأذان، وقد بنَى عليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهـاب - رحمـه اللـه - رسـالتَه النفيسـة الـتي لا يستغنِي عنها عـاميٌّ ولا طـالب علـم: « الأصـول الثلاثـة وأدلَّتُهـا »، فـإنَّ مـرادَه بالأصـول الثلاثـة: معرفة العبد ربّه ودينه ونبيّه ﷺ.

* * *

25 ـ قــوله: « **وأنَّ علــى العبــاد حَفَظَــةً يَكتُبـون أعمـالَهم، ولا يَسـقُطُ شـيْءٌ مِـن ذلك عَن عِلمِ ربِّهِم، وأنَّ مَلَكَ الموتِ يَقْبِـضُ**

الأرواحَ بإذن ربِّه)).

1 ـ الإيمانُ بالملائكة أحد أصول الإيمان الستة، الـتي بيَّنهـا رسـول اللـه ﷺ فـي حـديث جبريـل المشهور، بقـوله حيـن سـأله عـن الإيمـان: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخـر والقدر خيره وشرِّه))، وهـم مخلوقـون مـن نـور؛ كما في صحيح مسلم (2996) عن عائشة رضي الله عنها قـالت: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((خُلقـت الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارجٍ م ن نـار، وخُلق آدمُ مِمَّا وُصف لكم)).

وهـم ذَوُو أجنحـة؛ كمـا قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، ولجبريل ستمائة جناح، كما في صحيح البخاري (3232) وصحيح مسلم (280).

ويأتون إلى البشـر بأشـكال علـى غيـر هيئتهـم التي خُلقوا عليها، كما جاء جبريـل إلـى الرسـول ﷺ على صـورة رجـل غيـر معـروف، فـي حـديث جبريل المشـهور مـن روايـة عمـر رضي الله عنه، وهـو أوَّلُ حديث عند مسلم في كتـاب الإيمـان، وجـاء إليـه

في صورة دحية بن خليفة الكلـبي، وجـاء جبريـل إلى مريم في صورة بشر، وجاءت الملائكـةُ إلـى إبراهيم في صورة بشر، كمـا فـي قـول اللـه عـزَّ وجلَّ: [illegible] الآيات، وقــوله: [illegible] الآيات.

وهم خلقٌ كثير لا يَعلم عددَهم إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، ويدلُّ لذلك أنَّ البيتَ المعمور ـ وهو فـي السـماء السابعة ـ يـدخله كـلَّ يـوم سـبعون ألـف مَلَـك لا يعـودون إليـه، رواه البخـاري (3207) ومسـلم (259).

وروى مسلم فـي صـحيحه (2842) عـن عبـد الله بـن مسـعود ﷺ قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((يُؤتَى بجهنَّم يومئذ لها سـبعون ألـف زمـام، مـع كلِّ زمام سبعون ألف ملَك يَجرُّونها)).

والملائكةُ منهم الموكَّلون بالوحي، والموكَّلـون بـــالقَطر، والموكَّلـــون بـــالموت، والموكَّلـــون بالأرحام، والموكَّلون بالحفظ، والمُوكَّلون بالجنَّة، والمُوكَّلون بالنار، والمُوكَّلون بغيـر ذلـك، وكلُّهـم مستسلمون منقادون لأمر الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون.

والواجبُ على المسلم الإيمانُ والتصديق بكـلِّ ما جاء في الكتاب العزيز وصحَّت بـه السُّـنَّة مـن أخبار عن الملائكة.

2 ـ من الملائكة من وُكِّـل بـالحفظ والكتابـة، كمـــــا قـــــال اللـــــه عـــــزَّ وجـــــلَّ:

﴿ ﴾

﴿ ﴾، وقـــــال:

﴿ ﴾.

والكَتَبَـةُ يكتبـون أقـوالَ العبـاد وأفعـالَهم، بـل ويكتبــون الهــمَّ بالحســنة والســيِّئة؛ فقــد روى البخاري (7501) ومسلم (203) عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: « يقول الله: إذا أراد عبـدي أن يعمـل سـيِّئة فلا تكتبوهـا عليـه حـتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلـي فاكتبوهـا لـه حسـنة، وإذا أراد أن يعمـل حسنةً فلَم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملهـا فاكتبوها له بعشر أمثالها إلـى سـبعمائة »، وقـال

الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، والمعنى أنَّ حفظَ الملائكة للإنسان هو مِمَّا أمرهم الله به، والله بكلِّ شيء عليم، وهو يعلم أقوالَ العباد وأفعالَهم كُتبت أو لم تُكتَب، والكتابةُ إنَّما هي لإحصاء أعمال العباد وأقوالهم وإيقافهم عليها وإظهار عدل الله عزَّ وجلَّ فيهم، وأنَّه يُثيبُهم على أعمالهم الحسنة، ويُعاقبهم على أعمالهم السيِّئة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

والعقابُ يقع على الشرك، وكلُّ ذنب دونه فهو تحت مشيئة الله، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

3 ـ من الإيمان بالملائكة الإيمان بالملائكة الموكَّلين بالموت، وقد جاء التَّوَفِّي في القرآن مضافاً إلى الله عزَّ وجلَّ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وجاء مُضافاً

إلى مَلَك الموت، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، وجاء مضافاً إلى الملائكة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾، ولا تنافي بين هذه الإضافات؛ فإضافةُ الموت إلى الله لكونه الآمرَ به والمقدِّرَ له والموجدَ له، وإضافتُه إلى مَلَك الموت لكونه المباشرَ لقبض الأرواح، وإضافتُه إلى الملائكة لأخذهم الأرواح من مَلَك الموت بعد قبضها، وقد جاء ذلك مُبيَّناً في حديث البراء بن عازب في مسند الإمام أحمد بإسناد حسن (18534) قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه، كأنَّ وجوهَهم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنَّة، وحَنوطٌ من حَنوط الجنَّة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموت عليه السلام حتى يجلسَ عند رأسه، فيقول: أيَّتُها النفسُ الطيِّبة! اخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتَخرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القَطرةُ مِن فِي السِّقاء فيأخذها، فإذا أخذها لَم

يَـدعوها فـي يـده طرفـة عيـن حـتى يأخـذوها، فيجعلوها فـي ذلـك الكفـن وفـي ذلـك الحَنـوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض ...)) إلى أن قال: ((وإنَّ العبـدَ الكـافرَ إذا كان في انقطاع مـن الـدنيا وإقبـال مـن الآخـرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجـوه، معهـم المسوح، فيجلسـون منـه مـدَّ البصـر، ثـم يجيـء ملَكُ الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيَّتُهـا النفـس الخبيثـة! اخرجـي إلـى سـخط مـن اللـه وغضب، قال: فتفرَّق في جسـده، فيَنتزعُهـا كمـا يُنتَزَعُ السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخـذها لَـم يَـدَعوها فـي يـده طرفـة عيـن حـتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض ...)) الحديث.

* * *

26 ـ قـوله: ((**وأنَّ خيْـرَ القـرون القـرنُ الَّذين رَأَوا رسولَ اللـه ﷺ وآمَنـوا بـه، ثـمَّ الَّذين يَلُونَهم ثمَّ الَّـذين يَلـونَهم، وَأفْضَـلُ الصـحابة الخُلَفـاءُ الرَّاشـدون المَهْـديُّون؛ أبو بكر ثمَّ عُمر ثمَّ عُثمان ثـمَّ علـيٌّ رضـي الله عنهم أجمعين.**

وأن لاَ يُذكَرَ أَحَدٌ مِن صحابَةِ الرَّسـولِ ﷺ إلاَّ بأحْسَـن ذِكْـرٍ، والإمسـاك عمَّـا شَـجَرَ بَينهم، وأنَّهم أحَقُّ النَّاس، أن يُلْتَمَسَ لَهم أَحَسَـن المخـارج، ويُظَـنَّ بهـم أحْسـن المذاهب ».

1 ـ أصحابُ رسول الله ﷺ هم كـلُّ مَـن لقـي الرسول ﷺ مؤمناً به ومـات علـى الإسـلام، ذكـر هذا التعريف الحافظُ ابنُ حجر في مقدمـة كتـابه الإصـابة فـي تمييـز الصـحابة (ص:10)، فقـال: « وأصحُّ ما وقفتُ عليه من ذلك أنَّ الصحابيَّ مَـن لقيَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسـلم مؤمنـاً بـه ومـات علـى الإسـلام »، وقـال فـي (ص:12): « وهذا التعريف مبنِيٌّ علـى الأصـحِّ المختـار عنـد المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومَـن تبعهما ».

وقد شرح هذا التعريف، فقـال: « فيـدخل فـي (مَن لقيَه) مَـن طـالت مجالسـتُه لـه أو قصُـرت، ومَن رَوى عنه أو لَـم يَـرو، ومَـن غـزا معـه أو لـم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومَن لَـم يـره لعارض كالعمى.

ويخـرج بقيـد (الإيمـان) مـن لقيـه كـافراً ولـو

أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرَّة أخرى.

وقولنا (به) يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمَن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنَّه سيُبعث أو لا يدخل؟ محلُّ احتمال، ومن هؤلاء بَحيرا الراهب ونظراؤه.

ويدخل في قولنا: (مؤمناً به) كلُّ مكلَّف من الجنِّ والإنس ».

إلى أن قال: « وخرج بقولنا (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به، ثمَّ ارتدَّ ومات على ردَّته والعياذ بالله، وقد وُجد من ذلك عددٌ يسير كعُبيد الله بن جحش الذي كان زوجَ أمِّ حبيبة، فإنَّه أسلَم معها وهاجر إلى الحبشة، فتنصَّر هو ومات على نصرانيته، وكعبد الله بن خطل الذي قُتل وهو متعلِّق بأستار الكعبة، وكربيعة بن أميَّة بن خلف على ما سأشرحُ خبَرَه في ترجمته في القسم الرابع من حرف الراء، ويدخل فيه مَن ارتدَّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم مرَّة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمَد، والشِّقُّ الأول لا خلاف في

دخوله، وأبدا بعضُهم في الشِّقِّ الثاني احتمالاً وهو مردودٌ؛ لإطباق أهل الحديث على عدِّ الأشعث بن قيس في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو مِمَّن ارتدَّ ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر ».

وقول ابن أبي زيد رحمه الله: « وأنَّ خيرَ القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به » موافقٌ لِمَا نقله الحافظ عن البخاري والإمام أحمد ومن تبعهما من أنَّ الصُّحبةَ حاصلةٌ لِمَن جمع بين رؤيته ﷺ والإيمان به، وهذا بخلاف ما قاله النابتةُ في هذا العصر الذي مرَّ ذكرُه في مبحث حوض رسول الله ﷺ، الذي زعم زوراً وبُهتاناً أنَّ الذين أسلَموا وهاجروا بعد الحُديبية ليسوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وأنَّ صُحبتَهم كصحبة المنافقين والكفار، وقد أوضحتُ بُطلان هذا الزعم الجائر الخاطئ في كتاب « الانتصار للصحابة الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي ».

2 ـ أصحابُ رسول الله ﷺ رضي الله عنهم خيرُ هذه الأمَّة التي هي خيرُ الأُمم، ويليهم التابعون، ثم أتباع التابعين، وقد دلَّ الكتاب والسُّنَّة على فضلهم ونُبلهم، فمِمَّا جاء في

القــرآن فــي فضــلهم قــول اللــه عــزَّ وجــلَّ:

[illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]

[illegible]

ومِمَّا جاء في السُّـنَّة فـي فضـلهم رضـي اللـه عنهـم قـولُه ﷺ: ((خيـرُ النـاس قرنـي ثـم الـذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم)) رواه البخاري (3651) ومسـلم مـن حـديث ابـن مسـعود ﷺ، واللفـظ للبخاري.

ورَوَيَـا أيضـاً واللفـظ للبخـاري (3650) عـن عمران بن حُصين رضـي اللـه عنهمـا قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((خيـر أمَّـتي قرنـي، ثـم الـذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، قـال عمـران: فلا أدري أَذَكَرَ بعد قَرنه قرنين أو ثلاثة)) الحديث.

وقوله ﷺ: ((يأتي على الناس زمان، يغزو فئامٌ من الناس، فيُقال لهم: فيكم مَن رأى رسولَ الله

[illegible]

وقوله ﷺ: « النُّجومُ أَمَنَةٌ للسماءِ، فـإذا ذهبـت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أَمَنةٌ لأصـحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصـحابي مـا يُوعَـدون، وأصـحابي أَمَنةٌ لأمَّتِـي، فـإذا ذهـب أصـحابي أتـى أمَّـتي مـا يوعَـــــــــــدون » رواه مســـــــــــلم (2531) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

3 ـ وأفضلُ أصحاب الرسـول ﷺ رضـي اللـه عنهم الخلفاءُ الراشدون الهادون المهـديُّون: أبـو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علـي، وترتيبُهـم فـي الفضل كترتيبهم في الخلافة، ويدلُّ على ذلـك مـا رواه البخاري في صحيحه (3671) عن محمد بن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طـالب قـال: « قلتُ لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسـول اللـه ﷺ؟

قال: أبو بكر، قلت: ثمَّ مَن؟ قال: عمر، وخشيتُ أن يقول عثمان، قلتُ: ثمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلاَّ رجلٌ من المسلمين))».

وروى الإمام أحمد في مسنده (835) ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ـ قال: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا منصور بن عبد الرحمن يعني الغداني الأشل، عن الشعبي، حدَّثني أبو جُحيفة الذي كان عليٌّ يُسمِّيه: وهب الخير، قال: قال لي علي: ((يا أبا جُحيفة! ألا أُخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيِّها؟ قال: قلت: بلى، قال: ولم أكن أرى أنَّ أحداً أفضل منه، قال: أفضلُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وبعدهما آخر ثالث، ولم يُسمِّه))، وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين إلاَّ منصور بن عبد الرحمن فهو من رجال مسلم، وأثر علي هذا عن أبي جُحيفة جاء في مسند الإمام أحمد وزوائده لابنه عبد الله من طرق صحيحة أو حسنة، وأرقامها من (833) إلى (837) و(871).

وروى البخاري في صحيحه (3655) عن عبد الله بن عمر أنَّه قال:

((كنَّا نُخيِّر بين الناس في زمـن النَّبِـيِّ ﷺ، فنخيِّـر أبا بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان بن عفّان، رضـي اللـه عنهم)).

وقـال الحـافظ ابـن حجـر فـي التقريـب فـي ترجمـة علـي بـن أبـي طـالب رضي الله عنه: ((مـات فـي رمضان سنة أربعيـن، وهـو يومئـذ أفضـلُ الأحيـاء من بنِي آدم بالأرض بإجماع أهل السُّنَّة)).

ومِمَّا جاء في فضلهم وفضل خلافتهم قـوله ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: ((... فإنَّه مَن يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كـثيراً، فعليكـم بسُـنَّتِي وسُـنَّة الخلفـاء المهـديِّين الراشـدين، تمسَّـكوا بهـا وعضُّـوا عليهـا بالنواجـذ، وإيَّـاكم ومحدثات الأمـور، فـإنَّ كـلَّ محدثـة بدعـة، وكـلَّ بدعة ضلالة)) رواه أبو داود (4607) والترمذي (2676)، وقـال الترمـذي: ((حديث حسن صحيح)).

وقوله ﷺ في حديث سفينة مولى رسـول اللـه ﷺ: ((خلافـةُ النبـوة ثلاثـون سـنة، ثـمَّ يُـؤتي اللـهُ المُلْكَ أو مُلْكَه مَن يشاء)) رواه أبو داود (4646) وغيـرُه، وهـو حـديث صـحيح، أورده الألبـاني فـي السلسلة الصحيحة (460)ـ ونقـل تصـحيحه عـن

تسعة من العلماء.

4 ـ صحابةُ الرسول ﷺ عدولٌ؛ لثناء اللـه عـزَّ وجلَّ عليهم، وثناء الرسـول ﷺ، فلا يحتـاجون مـع ذلك لتعـديل المعـدِّلين وتوثيـق المـوثِّقين، ولهـذا دَرَجَ السَّلفُ في التراجم إذا كان المترجَمُ صحابيًّا أن يقولـوا عنـه: صـحابي، لا يـذكرون توثيقـاً ولا غيرَه مِمَّا كانوا يذكرون فـي غيـر الصـحابة، قـال ابن عبد البر فـي التمهيـد (22/47):ـ « ولا فـرق بين أن يُسـمِّي التـابعُ الصـاحبَ الـذي حـدَّثه أو لا يُسميه في وجـوب العمـل بحـديثه؛ لأنَّ الصـحابةَ كلَّهـم عـدولٌ مرضـيُّون ثقـاتٌ أثبـاتٌ، وهـذا أمـر مجتمعٌ عليه عند أهل العلم بالحديث ».

وقــال القرطــبي فــي تفســيره (16/299): « فالصــحابة كلُّهــم عــدولٌ، أوليــاء اللــه تعــالى وأصفياؤه، وخِيرتُه من خلقه بعـد أنبيـائه ورسـله، هذا مذهب أهل السنَّة والذي عليـه الجماعـة مـن أئمَّة هذه الأمَّة، وقد ذهبت شِرذمةٌ لا مبـالاة بهـم إلى أنَّ حالَ الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم!! ».

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (1/17): « واتَّفق أهلُ السـنَّة علـى أنَّ الجميـعَ عـدولٌ، ولَـم

يخالف في ذلك إلاَّ شذوذ من المبتدعة ».

وقد أشار السيوطي في تدريب الراوي (ص: 400) إلى هؤلاء الشذوذ من المبتدعة، فقال: « وقالت المعتزلة: عدول إلاَّ من قاتل عليًّا ».

وقال أبو عمرو بن الصلاح في علوم الحديث (ص:264):ـ « للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنَّه لا يُسأل عن عدالة أحدٍ منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدَّلين بنصوص الكتاب والسنَّة وإجماع مَن يُعتدُّ به في الإجماع من الأمَّة ... ».

إلى أن قال: (ص:265):ـ « ثمَّ إنَّ الأمَّةَ مجمعةٌ على تعديلِ جميع الصحابة، ومَن لابس الفتنَ منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتدُّ بهم في الإجماع؛ إحساناً للظَّنِّ بهم، ونظراً إلى ما تمهّد لهم من المآثر، وكأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أتاح الإجماعَ على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، واللهُ أعلم ».

وقال النووي في شرحه على مسلم (15/149): « ولهذا اتَّفق أهلُ الحقِّ ومن يُعتدُّ به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم، رضي الله عنهم أجمعين ».

وقال الخطيب البغدادي في الكفاية (ص:

46)ـ « كلُّ حديثٍ اتَّصل إسنادُه بين من رواه وبين النَّبِيِّ ﷺ لَم يلزم العمل به إلاَّ بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظرُ في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ؛ لأنَّ عدالَةَ الصحابة ثابتةٌ معلومةٌ بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن » ثمَّ ذكر الآيات والأحاديث في ذلك.

ومِمَّا يوضِّحُ ذلك أنَّ دواوينَ السنَّة صحاحها وجوامعها وسننها ومسانيدها ومعاجمها وغير ذلك مشتملةٌ على الرواية عن الصحابة على الإبهام، وما ثبت بالإسناد إليهم فهو حجَّةٌ عند أهل السنَّة، ولا تؤثِّر جهالتُهم؛ لأنَّ المجهول منهم في حكم المعلوم.

ثمَّ إنَّ قولَ أهل السُّنَّة والجماعة بعدالة الصحابة لا يعنِي عصمتهم؛ لأنَّ العصمةَ عندهم لا تكون إلاَّ للرُّسُل والأنبياء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص:28): « وهم مع ذلك (يعنِي أهل السنة والجماعة) لا يعتقدون أنَّ كلَّ واحدٍ من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السَّوابِق والفضائل ما يوجب مغفرة ما

يصدر منهم إن صدر، حتى إنَّهم يُغفر لهم من السيِّئات ما لا يُغفر لِمَن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنَّهم خير القرون، وأنَّ المُدَّ من أحدِهم إذا تصدَّق به كان أفضلَ من جبل أُحُد ذهباً مِمَّن بعدهم، ثمَّ إذا كان قد صدر عن أحدٍ منهم ذنبٌ فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحقُّ الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المُحقَّقة فكيف الأمور التي كانوا فيها مُجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثمَّ القدر الذي يُنكَر من فِعل بعضِهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنِهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنُّصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلمٍ وبصيرةٍ وما منَّ الله عليهم من الفضائل علِمَ يقيناً أنَّهم خيرُ الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنَّهم الصَّفوةُ من قرون هذه الأمَّة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله ».

وقول أهـل السُّـنَّة بتعـديل الصـحابة، كمـا أنَّـه مسـتندٌ إلـى نصـوص مـن الكتـاب والسُّـنَّة، فهـو مَبنِيٌّ على حُسن الظنِّ بهم، ومَـن أحسـن الظـنَّ بهم فهو مأجورٌ، والقول بخلاف ذلـك مَبنِـيٌّ علـى إساءة الظنِّ بهم، ومَن أساء الظنَّ بهم فهو آثمٌ.

5 ـ والواجبُ لأصحاب رسول الله ﷺ تـولِّيهم ومَحبَّتُهم والثناءُ عليـه بالجميـل اللاَّئـق بهـم، وألاَّ يُذكَروا إلاَّ بخير، قال الطحاوي فـي عقيـدة أهـل السُّنَّة والجماعة: « ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ ولا نفرط في حبِّ أحدٍ منهـم، ولا نتـبرَّأ مـن أحـدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخيـر يـذكرهم، ولا نـــذكرهم إلاَّ بخيـــرٍ، وحبُّهـــم ديـــنٌ وإيمـــانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ ».

وروى الخطيـبُ البغـدادي فـي كتـابه الكفايـة (ص:49) بإســـــــــــناده إلـــــــــــى أبي زرعـة الـرازي أنَّـه قـال: « إذا رأيـت الرجـلَ ينتقصُ أحداً من أصـحاب رسـول اللـه ﷺ فـاعلم أنَّه زنديقٌ؛ وذلـك أنَّ رسـول اللـه ﷺ عنـدنا حـقٌّ والقرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسـنَنَ أصحابُ رسول الله ﷺ وإنَّما يريـدون أن يجرحـوا شـهودَنا ليُبطلـوا الكتـاب والسـنة، والجـرحُ بهـم أولى وهم زنادقةٌ ».

وقال البغوي في شرح السنة (1/229): « قال مالك: مَن يبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ وكان في قلبه عليه غِلٌّ فليس له حقٌّ في فَيءِ المسلمين، ثم قرأ قولَه سبحانه وتعالى: ﴿ ﴾ إلى قوله: ﴿ ﴾ الآية، وذُكر بين يديه رجلٌ ينتقص أصحابَ رسول الله ﷺ فقرأ مالكٌ هذه الآية ﴿ ﴾ إلى قوله: ﴿ ﴾، ثم قال: مَن أصبح من الناس في قلبه غِلٌّ على أحدٍ من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ فقد أصابته هذه الآية ».

وقال الإمام أحمد في كتابه السنة: « ومن السنَّة ذكرُ محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلِّهم أجمعين، والكفّ عن الذي جرى بينهم، فمَن سبَّ أصحابَ رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدعٌ رافضيٌّ، حبُّهم سنَّةٌ والدعاءُ لهم قربةٌ والاقتداءُ بهم وسيلةٌ والأخذُ بآثارهم فضيلةٌ ».

وقال أيضاً: « لا يجوز لأحدٍ أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحدٍ منهم فمَن فعل

ذلك فقد وجب على السلطان تأديبُه وعقوبتُه ليس له أن يعفوَ عنه بل يعاقبُه ثمَّ يستتيبُه فإن تاب قبِلَ منه وإن لَم يتب أعاد عليه العقوبة وخلَّده في الحبس حتى يتوب ويراجع ».

وقال ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل (1/87): « فأمَّا أصحابُ رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحيَ والتنزيلَ، وعرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهم اللهُ عزَّ وجلَّ لصحبة نبيِّه ﷺ ونصرتِه وإقامةِ دينه وإظهارِ حقِّه، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوةً، فحفظوا عنه ﷺ ما بلَّغهم عن الله عزَّ وجلَّ، وما سنَّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدّب، ووعَوْه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمرَ الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسيرَ الكتاب وتأويله، وتلقّفهم منه واستنباطهم عنه، فشرَّفهم اللهُ عزَّ وجلَّ بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إيَّاهم موضع القدوة »، إلى أن قال: « فكانوا عدولَ الأمَّة وأئمَّةَ الهدى وحججَ الدِّين ونقلةَ الكتاب والسنة.

وندب الله عزَّ وجلَّ إلى التمسُّك بهديهم

والجــري علــى منهــاجهم والســلوك لســبيلهم والاقتداء بهم، فقال: [illegible] الآية.

ووجدنا النَّبِيَّ ﷺ قد حضَّ على التبليغ عنـه فـي أخبار كثيرة، ووجدناه يخاطبُ أصحابَه فيها، منهــا أن دعا لهم فقال: (نضَّر اللهُ امرءاً سمع مقـالتي فحفظها ووعاها حتّى يبلِّغها غيرَه)، وقـال ﷺ فـي خطبته: (فليبلِّـغ الشّـاهدُ منكـم الغـائبَ)، وقـال: (بلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إســرائيل ولا حرج).

ثــمَّ تفرَّقـت الصـحابةُ رضـي اللــه عنهـم فـي النَّواحي والأمصـار والثغـور، وفـي فتـوح البلـدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكـام، فبـثَّ كـلُّ واحدٍ منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ، وحكمـوا بحكـم اللــه عزَّ وجلَّ وأمضوا الأمور على ما سنَّ رسول اللــه ﷺ، وأفتـوا فيمـا سُـئلوا عنـه مِمَّـا حضـرهم مـن جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المســائل، وجرّدوا أنفسهم مع تقدمـة حسـن النيّـة والقربـة إلى الله تقدّس اسـمُه، لتعليـم النـاس الفرائـض والأحكام والسنن والحلال والحرام، حتّى قبضـهم

اللـهُ عـزَّ وجـلَّ رضـوانُ اللـه ومغفرتـه ورحمتـه عليهم أجمعين ».

وقال أبو عثمـان الصـابوني فـي كتـابه عقيـدة السلف وأصحاب الحديث: « ويَـرون الكـفَّ عمَّـا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمَّن عيباً لهم أو نقصاً فيهم ويرون التَّرحُّم على جميعهم والموالاة لكافَّتهم ».

ونقل الحـافظ فـي الفتـح (4/365) عـن أبـي المظفـــــر الســـــمعاني أنَّـــــه قـــــال: « التعرُّضُ إلى جانب الصحابة علامةٌ على خـذلان فاعله، بل هو بدعةٌ وضلالةٌ ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العقيدة الواسطية: « ومن أصول أهـل السـنة والجماعـة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصـحاب رسـول اللـه كما وصفهم الله في قوله: [illegible] ، وطاعة للنبيِّ ﷺ فـي قـوله: (لا تسـبوا أصـحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدَكم أنفق مثـلَ أُحُـدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصـيفه) إلـى أن قـال:

ويتبرَّءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبّونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهلَ البيت بقول أو عملٍ، ويُمسكون عمَّا جرى بين الصحابة، ويقولون إنَّ هذه الآثار المرويّة في مساوئهم منها ما هو كذبٌ ومنها ما قد زِيد فيه ونُقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيحُ منه هم فيه معذورون إمَّا مجتهدون مصيبون وإمَّا مجتهدون مخطئون ».

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible] الآية قال: « فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان، فيا ويلَ مَن أبغضَهم أو سبَّهم أو أبغضَ أو سبَّ بعضَهم ولا سِيَما سيِّدُ الصحابة بعد الرَّسول ﷺ وخيرُهم وأفضلُهم أعني الصِّديقَ الأكبرَ والخليفةَ الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإنَّ الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضلَ الصحابة، ويبغضونهم ويسبُّونهم عياذاً بالله من ذلك، وهذا يدلُّ على أنَّ عقولَهم معكوسةٌ وقلوبَهم

منكوسـةٌ، فـأين هـؤلاء مـن الإيمـان بـالقرآن إذ يسبون مَن رضـي اللـه عنهـم، وأمَّـا أهـلُ السـنة فإنَّهم يترَضَّوْن عمَّن رضي الله عنه ويسبُّون مـن سـبَّه اللـهُ ورسـولُه ويوالـون مـن يـوالي اللـهَ ويعادون من يعادي اللهَ، وهم متَّبعون لا مبتدعون ويقتـدون ولا يبتـدعون، ولهـذا هـم حـزبُ اللـه المفلحون وعبادُه المؤمنون ».

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص:469): « فمن أضلُّ مِمَّن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين وسـادات أوليـاء اللـه تعـالى بعـد النـبيِّين، بـل قـد فضَـلهم اليهـودُ والنصـارى بخصلة، قيل لليهود مَن خيرُ أهـل ملَّتكـم؟ قـالوا: أصحابُ موسى، وقيل للنصـارى: مـن خيـر أهـل ملَّتكـم؟ فقـالوا: أصـحابُ عيسـى، وقيـل للرافضة:من شرُّ أهـل ملَّتكـم؟ فقـالوا: أصـحابُ محمـد، ولـم يسـتثنوا منهـم إلاَّ القليـل، وفيمـن سـبّوهم مـن هـو خيـر مِمَّـن اسـتثنوهم بأضـعافٍ مضاعفةٍ ».

وهذا المعنى جاء في شعر أحـد علمـائهم بيـن القرن الثاني عشر والثالث عشـر الهجـري، وهـو كاظم الأزري، فقال:

أهم خير أمة أخرجت للنَّا   س هيهات ذاك بل أشقاها!!!

وقفـتُ عليـه فـي نقـد الأسـتاذ محمـود الملاح لقصيدته الأزرية المطبوع بعنـوان: « الرزيّـة فـي القصيدة الأزرية » (ص:51).

ومـا جـاء فـي هـذا الـبيت غايـةٌ فـي الجفـاء والخبـث، وهـو مُصـادمٌ للقـرآن لقـوله تعـالى: [illegible].

وقال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح البـاري (13/34):ـ « واتّفق أهلُ السنة علـى وجـوب منـع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهـم من حـروبٍ ولـو عُـرف المحـقُّ منهـم؛ لأَنَّهـم لَـم يقاتلوا في تلك الحروب إلاَّ عن اجتهـادٍ وقـد عفـا اللهُ تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبـت أنَّـه يؤجر أجراً واحداً وأنَّ المصيبَ يؤجر أجرين ».

وقال الشيخ يحيى بن أبـي بكـر العـامري فـي كتابه الرياض المستطابة في مـن لـه روايـةٌ فـي الصحيحين مـن الصـحابة (ص:311):ـ « وينبغـي لكلِّ صيِّنٍ متـديِّنٍ مسـامحة الصـحابة فيمـا صـدر بينهم من التشاجر والاعتذار عن مخطئهم وطلب المخارج الحسـنة لهـم وتسـلِيم صـحة إجمـاع مـا

أجمعوا عليه على ما علموه، فهـم أعلـم بالحـال، والحاضــرُ يــرى مــا لا يــرى الغــائبُ، وطريقــةُ العــارفين الاعتــذارُ عــن المعــائب، وطريقــةُ المنــافقين تتبُّــعُ المثــالب، وإذا كــان اللاَّزمُ مــن طريقــة الــدين ســترَ عــورات المســلمين فكيــف الظنُّ بصحابة خاتم النبيّين مع اعتبار قوله ﷺ: (لا تسبُّوا أحداً مـن أصـحابي)، وقـوله: (مـن حُسْـن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه) هذه طريقةُ صلحاء السلف وما سواها مهاوٍ وتلف ».

* * *

27 ـ قـوله: « **والطاعـةُ لأئمَّـة المسـلمين مِن ولاة أمورهم وعلمائهم** ».

1 ـ قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible] ، أولو الأمر هم العلماء والأمراء، فيُسـمع للعلمـاء ويُطـاع فيمـا يـبيِّنونه مـن أمـور الدِّين، ويُسمع للأمراء ويُطاع فيما يأمرون به مِمَّا ليس معصيةً لله عزَّ وجلَّ، وقد رجَّـح تفسـيرَ وُلاة الأمر بما يشمل العلماء والأمراء القرطـبيُّ وابـنُ كـثير فـي تفسـيريهما، فعـزا القرطـبيُّ تفسـيرَ [illegible] بـ الأمراء إلـى الجمهـور وأبـي

هريرة وابن عباس وغيرِهم، وقال أيضاً: « وقال جابر بن عبد الله ومجاهد (أولو الأمر): أهلُ القرآن والعلم، وهو اختيارُ مالكٍ رحمه الله، ونحوُه قولُ الضحّاك، قال: يعني الفقهاء والعلماء في الدِّين ».

وقال ابنُ كثير في تفسيره: « وقال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: [illegible] يعني أهل الفقه والدِّين، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية: [illegible] يعني العلماء ».

ويدلُّ لطاعة العلماء قولُ الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقولُه: [illegible].

ويدلُّ لطاعة الأمراء قوله ﷺ: « السمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرِهَ ما لم يُؤمَر بمعصيةٍ، فإذا أُمر بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة » رواه البخاري (7142) ومسلم (1839) مِن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقولُه ﷺ: « إنَّما الطاعةُ في المعروف » رواه البخاري (7145) ومسلم (1840) من حديث عليّ ﷺ.

وقــولُه ﷺ: « عليــك الســمعَ والطاعــةَ فــي عُســرِك ويُســرِك، ومَنشَــطِك ومَكرَهِــك، وأثــرَةٍ عليــك » رواه مســلم (1836) مِــن حــديث أبــي هريرة ﷺ.

وروى مســلم أيضــاً (1837) عــن أبــي ذر ﷺ قال: « إنَّ خليلي أوصاني أن أســمعَ وأُطيــعَ، وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطْرافِ ». قال ســهل بــن عبــد اللــه التســتري كمــا فــي تفســير القرطــبي (5/260):ــ « لا يــزالُ النَّــاسُ بخيــرٍ مــا عظَّمــوا السلطانَ والعلماءَ، فإذا عظَّموا هذين أصلح اللــهُ دنيــاهم وأُخراهــم، وإذا اســتخفُّوا بهــذين أفســد دنياهم وأُخراهم ».

2 ـ تَتمُّ ولايةُ الأمر بأحد أمورٍ أربعة:

الأول: النَّصُّ من رسول الله ﷺ، لو نصَّ على أحدٍ بعينه فإنَّه يكون خليفةً بذلك، وقد قال بعــضُ أهل العلم: إنَّ خلافــةَ أبــي بكــر ﷺ تمَّــتْ بــذلك، والصحيحُ أنَّه لم يأت نصٌّ خاصٌّ عــن رســول اللــه ﷺ بتعيين خليفةٍ مِن بعده، لا أبــي بكــر ولا غيــرِه، كما قال عمر ﷺ لمَّا طُلب منه أن يستخلف فــي مرض موته، قال: « إن أســتخلفْ فقــد اســتخلف مَن هو خيرٌ منِّي: أبو بكر، وإن أتركْ فقد ترك مَن

هو خيـرٌ منِّـي: رسـول اللـه ﷺ)) رواه البخـاري (7218) ومسلم (1823).

وجاء عنه ﷺ نصوصٌ تدلُّ علـى أنَّ أبـا بكـر ﷺ هو الأحقُّ والأَوْلى بـالأمر مِـن بعـده، مثـل تقـديم النَّبيِّ إيّاه في الصلاة بالناس في مرض مـوته ﷺ، وأَوْضحُ شيءٍ في ذلك ما رواه البخــاري (5666) ومسلم (2387)، واللَّفظُ لمسـلم، عـن عائشـةَ رضي الله عنها قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ فـي مرضه: ادعي لي أبا بكرٍ وأخاكِ حتَّى أكتُـبَ كتابـاً؛ فإنِّي أخاف أن يتمنَّى مُتَمَنٍّ ويقولَ قائلٌ: أنا أَوْلى، ويأبى اللهُ والمؤمنون إلاَّ أبا بكر)).

الثاني: اتِّفاقُ أهلِ الحـلِّ والعقـد علـى تعييـن خليفةٍ، ويدلُّ له اتِّفاقُ الصّـحابةِ علـى اختيـار أبـي بكر للخلافة بعد رسول الله ﷺ، وهو اتِّفاقٌ مُستندٌ إلى نصـوصٍ دالَّـةٍ علـى أنَّـه الأحـقُّ بالخلافـة بعـد رسـول اللـه ﷺ، ومنهـا مـا تقـدَّمَت الإشـارةُ إليـه قريباً.

الثالث: أن يعهد الخليفةُ إلى رجلٍ يلي الخلافةَ مِن بعده، كما حصل مِن استخلاف أبي بكـر لعمـر رضي اللهُ عنهما، ويدلُّ له أثرُ عمر ﷺالذي تقدَّم قريباً.

الرابع: أن يتغلَّب على النَّاس رجلٌ بالقهر والغلبة، فيستقرَّ له الأمرُ، كما حصل مِن انتزاعِ أبي العباس السَّفَّاح الخلافةَ مِن بني أُميَّةَ.

وقد ذكر هذه الأمورَ الأربعةَ القرطبيُّ في تفسيره عند تفسير قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ، وذكرها شيخُنا الشيخُ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في كتابه « أضواءُ البيان » عند هذه الآية، قال القرطبي: « فإن تغلَّب مَن له أهليَّةُ الإمامة وأخذها بالقهر والغلَبة، فقد قيل: إنَّ ذلك يكون طريقاً رابعاً، وقد سُئل سهل بن عبد الله التستري: ما يجب علينا لمن غلب على بلادنا وهو إمامٌ؟ قال: تُجيبُه وتُؤدِّي إليه ما يُطالبُك مِن حقِّه، ولا تُنكر فعالَه ولا تفرّ منه، وإذا ائْتمنك على سرٍّ مِن أمر الدِّين لم تُفشِه، وقال ابن خويز منداد: ولو وثب على الأمر مَن يصلُحُ له مِن غير مشورةٍ ولا اختيارٍ وبايع له النَّاسُ تمَّتْ له البيعةُ، والله أعلم ».

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (12/234) في قولِ عبد الله ابن عمرو: « أطِعْه في طاعةِ الله، واعْصِهِ في معصيةِ الله » قال:

« فيه دليلٌ لوجوب طاعةِ المتَوَلّين للإمامة بـالقهر مِن غير إجماعٍ ولا عهدٍ ».

وقال الحافظ في الفتح (13/122): « وأمَّا لـو تغلَّب عبدٌ حقيقةً بطريقِ الشَّوْكة فإنَّ طاعتَه تجبُ إخماداً للفتنة، ما لم يأمُر بمعصية ».

وقال الإمامُ أحمد في اعتقاده كمـا فـي السـنَّة لِلاّلكـائي (2/161): « ومَـن خـرج علـى إمـامِ المسلمين وقد كان النَّاسُ اجتمعوا عليه وأقرُّوا له بالخلافة بأيِّ وجهٍ كان: بالرِّضا أو بالغلَبة، فقد شقَّ هذا الخارجُ عصا المسلمين وخالف الآثارَ عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارجُ عليه مـات مِيتـةً جاهليَّة ».

وقـال الحـافظ فـي الفتـح (13/7) فـي شـرح حديث: « مَن رأى مِن أميره شيئاً يكرهُـه فليصـبر عليه؛ فإنَّه مَـن فـارق الجماعـةَ شِـبراً فمـات، إلاَّ مات مِيتةً جاهليَّة » قـال: « قـال ابـن بطَّال: فـي الحديث حجَّةٌ في ترك الخروج على السلطان ولو جـار، وقـد أجمـع الفقهـاءُ علـى وجـوب طاعـة السلطان المتغلِّب والجهادِ معه، وأنَّ طـاعتَه خيـرٌ مِن الخروج عليه؛ لِما في ذلـك مِـن حَقـنِ الـدِّماء وتسكينِ الدَّهماء، وحجتُّهم هذا الخـبرُ وغيـرُه مِمَّـا

يساعده، ولـم يسـتثنوا مِـن ذلـك إلاَّ إذا وقـع مـن السـلطان الكفـرُ الصَّـريحُ، فلا تجـوزُ طـاعتُه فـي ذلك، بل تجب مجاهدَتُه لِمَن قـدر عليهـا كمـا فـي الحديث الذي بعده ».

يشيرُ بذلك إلى حديث عبادةَ بن الصَّامت ﷺ: « بايعَنَا على السَّمع والطَّاعة في مَنشَطِنا ومَكرَهِنـا وعُسرِنا ويُسرِنا، وأثرَةٍ علينـا، وأن لا نُنـازع الأمـرَ أهلَه، إلاَّ أن ترَوا كفراً بَواحاً عندكم مِن الله فيـه بُرْهانٌ ».

3 ـ حقُّ وُلاة الأمر على الرَّعيَّـة النُّصـحُ لهـم، ويكـون النُّصـحُ بالسـمع والطَّاعـة لهـم فـي المعروف، والدّعاءِ لهم، وترْكِ الخروج عليهم ولو كـانوا جـائرين، ومِـن أدلَّـة النُّصـح لهـم قـولُه ﷺ: « الدِّينُ النَّصيحةُ، قلنا: لِمَـن؟ قـال: للـه ولكتـابه ولرسـوله ولأئمَّـة المسـلمين وعـامَّتِهم » رواه مسلم (95).

وروى الإمامُ مالك في الموطـأ (2/990) عـن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسـول اللـه ﷺ قـال: « إنَّ اللـهَ يرضـى لكـم ثلاثاً، ويسخطُ لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل اللـه جميعـاً،

وأن تناصحوا مَن ولاَّه اللهُ أمرَكم، ويسخطُ لكم قيلَ وقالَ، وإضاعةَ المال، وكثرةَ السؤال ».
ورواه أيضاً الإمامُ أحمد في مسنده (8799)، وهو حديثٌ صحيحٌ.

وفي مسند الإمام أحمد (21590) بإسنادٍ صحيحٍ عن زيد بن ثابت ﵁ في حديثٍ طويلٍ، وفيه: « ثلاثُ خصال لا يغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم أبداً: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ وُلاة الأمر، ولزومُ الجماعة؛ فإنَّ دعوَتَهم تُحيطُ مِن ورائهم ».

قال ابن القيِّم في مفتاح دار السعادة (ص: 79) في معنى « لا يغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم »: « أي لا يحمل الغِلَّ ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة؛ فإنَّها تنفي الغِلَّ والغِشَّ وفسادَ القلب وسخائمَه » إلى أن قال: « وقولُه (ومناصحةُ أئمّة المسلمين): هذا أيضاً منافٍ للغلِّ والغشِّ؛ فإنَّ النَّصيحةَ لا تجامعُ الغلَّ؛ إذ هي ضدّه، فمَن نصح الأئمَّةَ والأمَّةَ فقد برِئَ مِن الغلّ.

وقولُه: (ولزومُ جماعتهم): هذا أيضاً مِمَّا يطهِّرُ القلبَ مِن الغلِّ والغشِّ؛ فإنَّ صاحبَه للزومه جماعةَ المسلمين يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما

يسوؤهم، ويسرُّه ما يسرُّهم))**.**

وقال النووي في شرحه على مسلم (2/38): ((وأمَّا النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين فمعاونَتُهم على الحقِّ وطاعتُهم فيه، وأَمْرُهم به، وتنبيهُهم وتذكيرُهم برِفقٍ ولطفٍ، وإعلامُهم بما غفلوا عنه ولم يبلغْهم مِن حقوق المسلمين، وتركُ الخروج عليهم، وتألُّفُ النَّاس لطاعتهم، قال الخطّابي رحمه الله: ومِن النَّصيحة لهم الصلاةُ خلفَهم، والجهادُ معهم، وأداءُ الصّدقات إليهم، وتركُ الخروج بالسّيف عليهم إذا ظهر منهم حيفٌ أو سوءُ عِشرةٍ، وأن لا يُغرُّوا بالثّناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصّلاح))**.**

وقال ابن حجر في الفتح (1/138): ((والنَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين إعانَتُهم على ما حمِّلوا القيامَ به، وتنبيهُهم عند الغفلة، وسدُّ خلَّتهم عند الهفوة، وجمعُ الكلمة عليهم، وردُّ القلوب النَّافرة إليهم، ومِن أعظم نصيحتهم دفعُهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومِن جملة أئمَّة المسلمين أئمَّةُ الاجتهاد، وتقع النَّصيحةُ لهم ببَثِّ علومِهم، ونشرِ مناقبِهم، وتحسينِ الظّنِّ بهم))**.**

ثمَّ إنَّ النَّصيحةَ لوُلاة الأمور وغيرِهم تكون سرًّا وبرفـقٍ وليـنٍ، ويـدلُّ لـذلك قـولُ اللـه عـزَّ وجـلَّ لموسى وهارون: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾، وعن عائشةَ رضـي اللـه عنهـا عـن النَّبيِّ ﷺ قال: « إنَّ الرِّفقَ لا يكون فـي شـيءٍ إلاَّ زانَه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلاَّ شانَه » رواه مسـلم (2594).

وفــي صــحيح البخــاري (3267) ومســلم (2989)، واللفظُ لمسلم، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لأسامة : « ألا تدخل على عثمان فتكلِّمَه؟ فقال: أتُرَوْن أنِّي لا أُكلِّمُه إلاَّ أُسمعُكم؟ والله! لقد كلَّمْتُه فيما بيني وبينه ما دون أن أفتـحَ أمراً لا أُحبُّ أن أكون أوَّلَ مَن فتحَه » الحديث.

قال الحـافظ ابـن حجـر فـي الفتـح (13/51): « أيْ كلَّمْتُه فيما أشـرْتم إليـه، لكـن علـى سـبيل المصلحة والأدب فـي السـرِّ بغيـر أن يكـون فـي كلامي ما يثير فتنةً أو نحوَها ».

وعن عياض بـن غنـم ﷺ عـن رسـول اللـه ﷺ قال: « مَن أراد أن ينصح السـلطانَ بـأمرٍ فلا يُبـدِ له علانيةً، ولكن لِيأخذْ بيدِه فيخلـو بـه، فـإن قَبِـل

منه فذاك، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه لـه)) رواه أحمـد (15333) والحـاكم (3/290) وابـن أبـي عاصم في السنَّة (1096 ـ 1098)، قال الألبانيُّ فـي تخريجـه (2/523): ((فالحـديثُ صـحيحٌ بمجموع طرقه)).

وإذا خلا النُّصحُ من الرِّفق واللِّين وكـان علانيـةً فإنَّه يضرُّ ولا ينفعُ، ومِن المعلوم أنَّ أيَّ إنسانٍ إذا كان عنده نقصٌ يحبُّ أن يُنصح برفـقٍ وليـنٍ، وأن يكون ذلك سرًّا، فعليه أن يعامل النَّاسَ بمثـل مـا يحبُّ أن يعاملوه به، ففي صحيح مسـلم (1844) في حـديثٍ طويـلٍ عـن عبـد اللـه بـن عمـرو بـن العاص رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((فمَن أحبَّ أن يُزحْـزح عـن النَّـار ويُـدخل الجنَّـةَ فلتـأته منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليـوم الآخِـر، وليـأتِ إلـى النَّاس الذي يحبُّ أن يُؤتى إليه)).

4 ـ مِنَ النُّصـح للـوُلاة السـمعُ والطاعـةُ فـي المعروف، فإذا أَمروا بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعـة فـي ذلـك، ويـدلُّ لـذلك قـولُ اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible] ، وجاء في السنَّة أحاديثُ كثيرةٌ في السمع والطاعة لـولاة الأمـور،

وقد مرَّ منها قريباً حديثُ عبد الله ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي ذر، وعبادة ابن الصامت.

وروى النَّسائي (4168) بإسنادٍ صحيح عن جرير ﷺ قال: بايعْتُ النَّبِيَّ ﷺ على السَّمع والطَّاعة، وأن أنصح لكلِّ مسلمٍ ».

وفي صحيح مسلم (1847) في حديثٍ طويلٍ عن حذيفةَ ﷺ قال له رسولُ الله ﷺ: « تسمعُ وتُطيعُ للأمير، وإنْ ضرب ظهرك وأخذَ مالك، فاسمعْ وأطعْ ».

وروى البخاري (7137) ومسلم (1835) واللفظُ لمسلم، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: « مَن أطاعني فقد أطاع اللهَ، ومَن يعصِني فقد عصى اللهَ، ومَن يُطع الأميرَ فقد أطاعني، ومَن يعصِ الأميرَ فقد عصاني ».

وروى مسلم في صحيحه (1846) عن وائل بن حجر ﷺ قال: « سأل سلمةُ بن يزيد الجعفي رسولَ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله! أرأيتَ إن قامتْ علينا أُمراءُ يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقَّنا؟ فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا؛ فإنَّما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتُم ».

وفي تفسير القرطبي (5/259) أنَّ سـهلَ بـن عبـــــد اللـــــه التســـــتري قـــــال: « إذا نهى السلطانُ العالمَ أن يُفتِيَ فليـسٍ لـه أن يُفتي، فإن أفتى فهو عاصٍ، وإنْ كان أميراً جـائراً »، ويدلُّ لذلك حديثُ عـوف بـن مالـك الأشـجعي ﵁ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « لا يقـصُّ إلاَّ أميـرٌ أو مـأمورٌ أو مختـالٌ » رواه الإمـام أحمـد (24005) وأبـو داود (3665) وهـو حـديثٌ صـحيحٌ بطرقـه، وانظر تعليقَ الألباني على المشكاة علـى حـديث رقم (240).

وكان أبـو موسـى الأشـعري ﵁ يُفـتي بـالتَّمتُّع في الحـجِّ، فبلغـه عـن أميـر المـؤمنين عمـر بـن الخطاب ﵁ أنَّـه يـأمر بـالإفراد، فقـال: « يـا أيهـا النـاس! مَـن كنَّـا أفتينـاه فُتيـا فلْيتَّئِـدْ؛ فـإنَّ أميـرَ المـؤمنين قـادمٌ عليكـم، فبـه فـائْتمُّوا »، أخرجـه مسلم في صحيحه (1221).

وفي سنن البيهقي (3/144) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: « كنَّا مع عبد الله بن مسعود بجمع، فلمَّـا دخـل مسـجد منـى قـال: كـم صـلّى أميـرُ المؤمنين؟ قالوا: أربعاً، فصلّى أربعاً، قال: فقلنا: ألم تُحدِّثْنا أنَّ النَّبِـيَّ ﷺ صـلّى ركعـتين، وأبـا بكـر صلّى ركعتين، فقال: بلى! وأنـا أُحـدِّثكموها الآن،

ولكنَّ عثمان كان إماماً فما أخالفه، والخلافُ شرٌّ ».

وهو عند أبي داود (1960)، ورواه البيهقي مِن طريقه (3/143)، وفي إسناده مَـن أُبهـم، وعنـد البيهقي من طريقٍ أخرى فيها مَـن أُبهـم، وفيهـا: « قال: إنِّي أكـرهُ الخلافَ ». وإتمـامُ الصـلاة فـي السّفر خلافُ الأَوْلى، قد فعله ابـنُ مسـعود تركـاً لمخالفة عثمان.

وفي صـحيح البخـاري (956) ومسـلم (889) في قصَّـة بَـدْء مـرْوان بالخُطبـة يـومَ العيـد قبـل الصلاة، وإنكارِ أبي سعيد الخدري عليه ذلك، ذكـر الحافظ في الفتح (2/450) مِن فوائد الحديث: « جوازُ عمـل العـالم بخلاف الأَوْلـى إذا لـم يـوافقْه الحاكمُ على الأَوْلى؛ لأنَّ أبا سـعيد حضـر الخطبـةَ ولم ينصرفْ، فيُستدلُّ به على أنَّ البداءة بالصلاة فيها ليس بشرطٍ في صحَّتِها، والله أعلم ».

وقـال الحـافظ ابـن رجـب فـي جـامع العلـوم والحكم (2/117):ـ « وأمَّا السمعُ والطاعةُ لـوُلاة أمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدنيا، وبها تنتظـم مصالح العباد في معايشِهم، وبها يستعينون علـى إظهار طاعة ربِّهم ».

5 ـ مِن النُّصح للوُلاة الدعاءُ لهم وعدمُ الدعاء

عليهم، وهي طريقةُ أهل السـنَّة والجماعـة، قـال شيخُ الإسلام ابن تيمية فـي السياسـة الشـرعيَّة (ص 129):ـ « ولهذا كـان السَّـلَفُ كالفُضـيل بـن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كـان لنا دعوةٌ مجابةٌ لدعونا بها للسلطان ».

وقال الشيخ أبو محمـد الحسـن البربهـاري فـي كتابه شرح السنَّة (ص 116):ـ « وإذا رأيتَ الرَّجـلَ يدعو على السلطان فاعلم أنَّه صاحبُ هوى، وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو للسلطان بالصّـلاح فـاعلم أنَّـه صاحبُ سنَّةٍ إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض: لو كانت لي دعوةٌ ما جعلتُها إلاَّ في السلطان ».

ثمَّ أسند إلى فضيل قـولَه: « لـو أنَّ لـي دعـوةً مستجابةً ما جعلتُها إلاَّ في السلطان، قيل له: يـا أبا عليّ! فسِّرْ لنا هذا، قال: إذا جعلتُها في نفسي لم تعْدُنِي، وإذا جعلتُها في السلطان صلح، فصلح بصـلاحه العبـادُ والبلاد، فأُمرنـا أن نـدعوَ لهـم بالصَّلاح، ولم نؤمر أن نـدعو عليهـم، وإن ظلمـوا وإن جاروا؛ لأنَّ ظلمَهم وجـورَهم علـى أنفسـهم، وصلاحَهم لأنفسهم وللمسلمين ».

وقـال الطحـاوي فـي عقيـدة أهـل السـنَّة والجماعة: « ولا نـرى الخـروجَ علـى أئمَّتِنـا ووُلاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهـم، ولا نَنْـزِعُ يـداً

مِن طاعتهم، ونرى طاعتَهم مِـن طاعـة اللـه عـزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصـيةٍ، ونـدعو لهـم بالصّلاح والمعافاة ». العقيدة مع شرحها لابن أبي العزّ (ص 540).

وقال الشيخ أبو إسماعيل الصابوني في كتـابه عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص 92 ـ 93): « ويرى أصحاب الحديث الجمعةَ والعيدين وغيرهما مِن الصلوات خلف كلِّ إمامٍ مسـلمٍ، بـرًّا كـان أو فـاجرًا، ويـرون جهـادَ الكفـرة معهـم وإن كـانوا جـوَرَةً فجَـرةً، ويـرون الـدعاءَ لهـم بالإصـلاح والتوفيق والصّلاح وبسط العدل في الرَّعيَّة ».

6 ـ إذا حصل مِن وُلاة الأمر فسقٌ أو جَـورٌ فلا يجوز الخروجُ عليهـم؛ لأنَّـه يـترتَّب علـى الخـروج عليهم مِنَ الفوضى والفساد أضـعاف مـا يحصـل مِن الجور، ولا يجوز الخروجُ عليهـم إلاَّ إذا حصـل منهم كفرٌ واضـحٌ بيِّـنٌ، وقـد دلَّ علـى ذلـك سـنَّةُ رسولِ الله ﷺ وعملُ السلف الصالح، ومِـن ذلـك ما رواه البخاري (7055) ومسـلم (1709) عـن عبادة بن الصامت ﵁ قال: بايعَنا رسول اللـه ﷺ علـى السَّـمع والطَّاعـة فـي مَنشَـطِنا ومَكرَهِنـا وعُسرِنا ويُسرِنا، وأثرَةٍ علينـا، وأن لا نُنـازع الأمـرَ أهلَه، إلاَّ أن ترَوا كفراً بَواحاً عندكم مِن الله فيـه

بُرْهانٌ ».

وروى مسلم في صحيحه (1855) عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: « خيارُ أئمَّتكم الذين تحبُّونهم ويحبّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم، وشِرارُ أئمَّتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذُهم عند ذلك؟ قال: لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، ألا مَن وليَ عليه والٍ، فرآه يأتِي شيئاً مِن معصيةٍ، فليكره ما يأتِي مِن معصية الله، ولا ينزعنَّ يداً مِن طاعةٍ ».

وروى مسلم (1854) عن أمّ سلمة رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: « إنَّه يُستعمل عليكم أُمراءُ، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئَ، ومَن أنكر فقد سلِم، ولكن مَن رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتلُهم؟ قال: لا! ما صلّوا ».

وروى البخاري (7054) ومسلم (1849) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: « مَن رأى مِن أميره شيئاً يكرهُه فليصبر عليه؛ فإنَّه مَن فارق الجماعةَ شبرًا فمات إلاَّ مات مِيتةً جاهليّة ».

قال الحافظ في شـرحه (13/7):ـ « قـال ابـن أبي جمـرة: المـرادُ بالمفارقـة السـعيُ فـي حـلّ عقد البيعة التي حصلتْ لـذلك الأميـر ولـو بـأدنى شيء، فكنَّى عنها بمقدار الشِّـبر؛ لأنَّ الأخـذَ فـي ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حقٍّ ».

وقال الإمام أحمد في اعتقاده كما فـي السـنَّة للالكائي (1/161): « ولا يحلُّ قتالُ السلطان ولا الخروجُ عليه لأحدٍ مِن النَّاس، فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السنَّة والطريق ».

ومرَّ قريباً قولُ الطحـاوي: « ولا نـرى الخـروجَ علـى أئمَّتِنـا ووُلاة أمورنـا وإن جـاروا، ولا نـدعو عليهم، ولا نَنْزِعُ يداً مِن طاعتهم، ونـرى طـاعتَهم مِن طاعة الله عـزَّ وجـلَّ فريضـة، مـا لـم يـأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصّلاح والمعافاة ».

وقال الصـابوني فـي عقيـدة السـلف أصـحاب الحـديث (ص 93):ـ « ولا يـرون الخـروجَ عليهـم بالسيف، وإن رأوا منهم العدولَ عـن العـدل إلـى الجور والحيف ».

ومِن قواعد الشريعة ارتكـابُ أخـفِّ الضـررين في سبيل التخلُّص مِن أشـدِّهما، قـال ابـنُ القيّـم في كتاب إعلامُ الموقِّعين (3/15): « إنَّ النَّبيَّ ﷺ

شرع لأمَّته إيجاب إنكار المنكـر ليحصـل بإنكـاره مِن المعروف ما يحبُّـه اللـهُ ورسـولُه، فـإذا كـان إنكارُ المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلــى الله ورسوله، فإنَّه لا يسوغ إنكارُه، وإن كان اللــهُ يُبغضُه ويمقتُ أهلَه، وهذا كالإنكـار علـى الملـوك والـولاة بـالخروج عليهـم؛ فـإنَّه أسـاسُ كـلِّ شـرٍّ وفتنةٍ إلى آخر الدهر ».

وما أحسنَ وأجملَ قولَ عبـد اللـه بـن مسـعود ﷺ: « تكون أمورٌ مشتبهاتٌ، فعليكم بالتؤدة؛ فـإنَّ أحدَكم أن يكون تابعاً في الخير خيرٌ مِن أن يكــون رأسـاً فـي الشـرِّ » رواه الـبيهقي فـي الشـعب (7/297).

* * *

28 ـ قوله: « **واتِّباعُ السلف الصّالح واقتفـاءُ آثارهم والاستغفارُ لهم** ».

الخيرُ كلُّ الخيـر والسـعادةُ كـلُّ السـعادة فـي اتِّباع ما كان عليه رسول الله ﷺوأصحابه الكرام ومَـن تبعهـم بإحسـان، وقـد أخـبر النَّبِـيُّ ﷺ عـن افتراق هذه الأمَّة إلى ثلاثٍ وسبعين فِرقــةٍ، كلُّهـا في النَّار إلاَّ واحدة، قيل: مَن هي يا رسول الله ؟ قال: « هي الجماعة »، وقد مـرَّ ذلـك، ومـرَّ أيضـاً

قولُ النَّبِيِّ ﷺ فـي حـديث العربـاض بـن سـارية: « ... فإنَّه مَن يعش منكم بعدي فسـيرى اختلافـاً كثيراً، فعليكـم بسُـنَّتِي وسُـنَّة الخلفـاء المهـديين الراشدين، تَمسَّكوا بها، وعضُّـوا عليهـا بالنواجـذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كـلَّ محدثـة بدعـة، وكلَّ بدعة ضلالة ».

ومرَّ أيضاً قولُ مالكٍ رحمـه اللـه: « لـن يصـلُح آخرُ هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلُها ».

وقال الإمام أحمـد فـي أوّل اعتقـاده كمـا فـي السنَّة للالكائي (1/156):ـ « أصولُ السنَّة عنـدنا التمسُّكُ بما كـان عليـه أصـحابُ رسـول اللـه ﷺ والاقتـداءُ بهـم، وتـركُ البـدع، وكـلُّ بدعـةٍ فهـي ضلالةٌ، وتركُ الخصومات والجلوسِ مـع أصـحاب الأهواء، وتـركُ المـراء والجـدال والخصـومات فـي الدِّين ».

وقد أثنى اللـهُ علـى مَـن جـاء بعـد المهـاجرين والأنصار، مستغفراً لهم سائلاً اللهَ ألاَّ يجعل فـي قلبه غِلاًّ للمؤمنين، فقـال: [illegible] .

قالت عائشة رضي اللـه عنهـا فيمَـن نـال مِـن بعض الصـحابة: « أُمـروا أن يسـتغفروا لأصـحاب النَّبِيّ ﷺ فسبُّوهم » أخرجه مسلم (3022).

وقال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] .

وقال عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه كمـا فـي جـامع بيان العلم وفضله لابن عبد الـبر (2/97)ـ « مَـن كان منكـم متأسِّـياً فليتـأسَّ بأصـحاب محمـد ﷺ؛ فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قلوبـاً، وأعمقَهـا علمـاً، وأقلَّها تكلُّفاً، وأقومَها هدياً، وأحسنَها حـالاً، قومـاً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيِّه ﷺ، فاعرفوا لهـم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارهم؛ فـإنَّهم كـانوا علـى الهدي المستقيم ».

وقـال أيضـاً كمـا فـي سـنن الـدارمي (211): « اتَّبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم ».

وفي سنن الدارمي أيضـاً (141) عـن عثمـان بن حاضر، قال: « دخلتُ على ابن عباس، فقلت: أَوْصـني، فقـال: نعـم! عليـك بتقـوى اللـه والاستقامة، اتَّبع ولا تبتدع! ».

وفيه أيضاً (142) عن ابن سيرين قال: « كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان على الأثر ».

وفيه أيضاً (144) عن ابن مسعود ﷺ قال: « تعلَّموا العلمَ قبل أن يُقبض، وقبضُه أن يذهب أهلُه، ألا وإيّاكم والتَّنطُّع والتَّعمُّق والبدع، وعليكم بالعتيق ».

والمراد بالعتيق ما دلَّ عليه دليلٌ، وكان عليه السلف، ولم يكن محدَثاً.

وفي كتاب السنَّة لمحمد بن نصر المروزي (80) أنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ قال: « إنَّكم اليوم على الفطرة، وإنَّكم ستحدثون ويُحدث لكم، فإذا رأيتم محدَثةً فعليكم بالهَدي الأوَّل ».

وفيه أيضاً (87) أنَّ حذيفة بن اليمان ﷺ قال: « يا معشر القرّاء! اسلكوا الطريق؛ فوالله! لئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بيِّناً، وإن أخذتم يميناً وشِمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً ».

وفيه أيضاً (100) عن أبي الدرداء ﷺ قال: « اقتصادٌ في سنّة خيرٌ مِن اجتهادٍ في بدعةٍ، إنَّك إنْ تتَّبعْ خيرٌ مِن أنْ تبتدع، ولن تخطئَ الطريقَ ما اتَّبعْتَ الأثرَ ».

وفيه أيضاً (94)ـ ((أنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى النَّاس أنَّه لا رَأْيَ لأحدٍ مع سنَّةٍ سنَّها رسول الله ﷺ)).

وفيه (110)ـ عن عروة بن الزبير أنَّه قال: ((السنن! السنن! فإنَّ السننَ قوامُ الدِّين)).

ولقد أحسن مَن قال:

دِينُ النَّبِيِّ محمَّد أخبارُ ... نِعم المطيَّةُ للفتَى آثارُ
لا ترْغبنَّ عن الحديث وأهله ... فالرَّأْيُ ليلٌ والحديثُ نَهَارُ
ولرُبَّما جهل الفَتَى أثرَ الهُدى ... والشَّمسُ بازغةٌ لَها أنوارُ

وقال آخر وأحسن فيما قال:

الفقهُ في الدِّين بالآثار مقترنٌ ... فاشغل زمانك في فقهٍ وفي أثرِ
فالشغلُ بالفقه والآثار مرتفعٌ ... بقاصد الله فوق الشَّمس والقمرِ

* * *

29 ـ قوله: ((**وتركُ المراء والجدال في**

الدِّين)).

طريقـةُ أهـل السـنَّة والجماعـة اتِّبـاعُ الكتـاب والسنَّة، والاستسلامُ والانقيادُ لنصوصهما، بخلاف غيرهم مِمَّن يعوِّل على العقـول، ويتَّهـم النُّقـولَ، ويجادل بالباطل ليدحض به الحقَّ.

وقـد جـاءت الأدلَّـةُ مـن الكتـاب والسـنَّة فـي التحذير مِن ذلك، قال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـال: [illegible]، وقـال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible].

وروى البخاري (2457) ومسلم (2668) عـن عائشة رضي الله عنها عـن النَّبِـيِّ ﷺ قـال: ((إنَّ أبغضَ الرِّجال إلى الله الألدُّ الخَصِم)).

قال الحافظ في شرحه (8/188): ((أي الشديد اللّدد الكثيرُ الخصومة)).

وذكر في (13/181) أنَّ المـرادَ بـه الكـافر أو

مَن خاصم بباطل مِن المسلمين.

وقال ﷺ: ((ما ضلَّ قومٌ بعد هـدى كـانوا عليـه إلاَّ أوتوا الجدلَ، ثمَّ تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿ ﴿ ﴾ ﴾)) رواه الترمـذي (3253)، وقـال: ((هـذا حـديثٌ حسنٌ صحيحٌ)).

وروى مسلم فـي صـحيحه (2666) عـن عبـد الله بن عمرو بن العاص رضي اللـه عنهمـا قـال: ((هجَّرتُ إلى رسول اللـه ﷺ يومـاً، قـال: فسـمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله يُعرف في وجهه الغضـبُ، فقـال: إنَّمـا هلـك مَن كان قبلكم باختلافهم في الكتاب)).

وروى ابن ماجه (254) عن جابر بن عبـد اللـه أنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قـال: ((لا تعلَّمـوا العلـمَ لتبـاهوا بـه العلماء، ولا لتُمـاروا بـه السـفهاء، ولا تخيَّـروا بـه المجالس، فمَن فعل ذلك فالنَّار النَّار)).

قـال ابـن أبـي العـزّ الحنفـي فـي شـرح قـول الطحاوي (ص 427): ((ولا نُماري في دين الله))، قال: ((معناه لا نخاصمُ أهلَ الحقّ بإلقـاءِ شـبُهات أهلِ الأهواء عليهـم؛ الْتماسـاً لامـترائهم ومَيْلِهـم؛ لأنَّه في معنى الدعاءِ إلى الباطل وتلـبيسِ الحـقّ

وإفسادِ دين الإسلام ».

ومِـن طريقـة أهـل الزَيـغ والضـلال الجـدالُ بالباطـل واتِّبـاعُ مـا تشـابه مِـن القـرآن، بخلاف طريقـةِ أهـلِ الحـقّ، الـذين يؤمنـون بـالمُحكَم والمتشابه ويردُّون المتشابه إلـى المُحكَـم، قـال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] الآية، فقال: « إذا رأيتم الذين يتَّبعـون مـا تشـابه منـه فأولئـك الذين سمَّى اللهُ، فاحذَرُوهم ».

وفـي سـنن الـدارمي (406) عـن أبـي جعفـر

محمد بن عليّ الباقر قال: ((لا تُجالسوا أصحابَ الخصومات؛ فإنَّهم الذين يخوضون في آيات الله)).

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1/134) عن مالكٍ قال: ((المِراءُ يُقسِّي القلبَ ويُورث الضِّغن)).

وقال عمر بن عبد العزيز كما جامع بيان العلم وفضله (2/93): ((مَن جعل دينَه غرَضاً للخصومات أكثرَ التَّنقُّلَ)).

وأمَّا المجادلةُ بالتي هي أحسن لإظهار الحقّ وردِّ الباطل فذلك حقٌّ، وقد أمر اللهُ به في قوله: [illegible]، وقال: [illegible].

وقد عقد ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله باباً مِن (ص 92 _ 99) لِما تُكرَه فيه المناظرةُ والجدالُ والمِراءُ، وباباً من (ص 99 _ 108) لإثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجَّة، أورد فيهما جملةً مِن النُّصوص والآثار في ذلك.

* * *

30 ـ قـوله: ((**وتركُ ما أحـدثه المُحـدِثون، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّد نبيِّه، وعلـى آلِه وأزواجِه وذُرِّيَّتِه، وسلَّم تسليماً كـثيراً**)).

لَمَّا بيَّن ابنُ أبي زيـد - رحمـه اللـه - أنَّ طريقـةَ أهـل السـنَّة والجماعـة اتِّبـاعُ السَّـلف الصّـالح واقتفـاءُ آثـارهم والاسـتغفارُ لهـم، وتـركُ المِـراء والجدالِ في الدِّين، عقَّب ذلك ببيان أنَّ طريقتَهم تركُ ما أحدثه المُحـدِثون، أيْ ابتـدعه المبتـدعون في دين الله، وقد جاءتْ أدلَّةٌ في الكتاب والسـنَّة وآثـار السّـلف الصّـالح فـي التّحـذير مِـن البـدع والمحـدثات، قـال اللـهُ عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـال: [illegible]، وقـال [illegible]، وقـال ﷺ فـي الحديث المتَّفق علـى صـحّته عـن عائشـة رضـي الله عنها: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ))، وفي لفـظ لمسـلم: ((مَـن عمـل عملاً

ليـــــــس عليـــــــه أمرُنـــــــا فهـــــــو ردٌّ ».

وقال ﷺ في آخر حـديث العربـاض بـن سـارية وقـد مـرَّ ذكـرُه فـي الفائـدة الأولـى: « وإيَّـاكم ومحدثات الأمـور؛ فـإنَّ كـلَّ محدثـة بدعـة، وكـلَّ بدعة ضلالة ».

ومـرَّ أيضـاً حـديثُ جـابرٍ فـي صـحيح مسـلم (767) أنَّ رسول اللـه ﷺ كـان يقـول فـي خطبـة الجُمعة: « أمَّا بعد، فإنَّ خيرَ الحديث كتـابُ اللـه، وخيرَ الهَدي هَديُ محمَّد، وشـرَّ الأمـور محـدَثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة ».

ومرَّ أيضاً في آخر الحديث الطويل عـن أنـس: « فمَن رغِب عن سنَّتي فليس منِّي ».

وقـال ﷺ: « إنَّ اللـهَ حجـب التَّوبـةَ عـن كـلِّ صاحب بدعةٍ حتى يـدَعَ بـدعتَه »، قـال المنـذري: « رواه الطـبراني وإسـناده حسـن » كمـا فـي الترغيب والترهيب (1/65)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (52).

ومرَّ في الفقرة الأولى مِن فقرات هذا الشرح حـديثُ قصّـة الصـحابي الـذي ذبـح أضـحيتَه قبـل صلاة العيد، وقـال لـه ﷺ: « شـاتُك شـاةُ لحـمٍ »،

وأثرُ ابن مسعود ﷺ، الذي أنكر فيه على الذين يُسبِّحون بالحصى، وقال: ((فعُدوا سيِّئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يَضيعَ من حسناتكم شيءٌ)).

وفي كتاب السنّة لمحمد بن نصر المروزي (82) عن عبد الله بن عمر قال: ((كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها النّاسُ حسنة)).

وذكر الشاطبي في الاعتصام (1/28) أنَّ ابن الماجشون قال: سمعتُ مالكاً يقول: ((مَن ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زعم أنَّ محمّداً خان الرسالة؛ لأنَّ اللهَ يقول: [illegible] ، فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)).

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (10/244) قال أبو عثمان النيسابوري: ((مَن أمَّر السنَّةَ على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومَن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة)).

وقال سهل بن عبد الله التستري كما في فتح الباري (13/290): ((ما أحدث أحدٌ في العلم شيئاً إلاَّ سُئل عنه يوم

القيامة، فإن وافق السنَّة سلِمَ، وإلاَّ فلا ».

وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (2/95): « أجمع أهلُ الفقه والآثار مِن جميع الأمصار أنَّ أهلَ الكلام أهلُ بدَع وزيغ، ولا يُعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنَّما العلماء أهلُ الأثر والتفقُّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز ».

وما أحسن ما قاله الإمام بن الإمام عبد الله بن أبي داود السجستاني في مطلع منظومته الحائية:

تمسَّكْ بحبل الله ... ولا تكُ بدعيًّا لعلَّك
واتَّبِع الهُدى ... تُفلحُ
ودِنْ بكتاب الله ... أتتْ عن رسول الله
والسنن التي ... تنجو وتربحُ

ومِن أعظم ما أحدثه المُحدِثون وابتدعه المبتدعون ما زعمه أحدُ النوابت في هذا العصر الذي مرَّ ذكرُه في بحثَيْ الحوض والصحابة مِن أنَّ الصحبةَ الشرعية مقصورةٌ على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية، وأنَّ كلَّ مَن أسلم وهاجر بعد الحديبية أو لم يهاجر مِمَّن لقيَ النَّبِيَّ ﷺ أنَّه ليس مِن أصحابه، وأنَّ صحبَتَهم كصحبة

المنافقين والكفّار وفي مقدِّمَتهم العباسُ بن عبد المطّلب وابنه عبد الله رضي الله عنهما، وهي بدعةٌ ضلالةٌ لم يُسبق إليها خلال القرون الماضية، وفي المثل « كم ترك الأوَّلُ للآخر » فكم ترك الأوَّلُ مِن المبتدعة للآخر منهم، فقد تركوا له هذه البدعة، فظفر بها، وعليه وِزرُها ومثلُ أوزار مَن ابتُلي بها من بعده.

وقد ختم ابنُ أبي زيد ـ رحمه الله ـ مقدِّمةَ رسالته بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وهي طريقةٌ متَّبعةٌ، سلكها بعضُ المؤلِّفين، فختموا مؤلفاتهم بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وكان الفراغُ مِن تأليف هذا الشرح في صباح الخميس، الموافق للثامن مِن شهر جمادى الأولى مِن عام 1423هـ.

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً على نِعمه الظاهرة والباطنة، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا وإمامنا محمد ومَن سلك سبيله واهتدى بِهَديه إلى يوم الدِّين.

* * *

*

فهرس الموضوعات

المقدمة.....5
ترجمة ابن أبي زيد القيرواني.....10
عشر فوائد بين يدي الشرح:
1 ـ منهج أهل السنَّة والجماعة في العقيدة اتِّباع الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف
الصالح.....11
2 ـ وسطيَّة أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة بين فرق الضلال.....20
3 ـ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مطابقة للفطرة....24
4 ـ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، والقول في بعض الصفات
كالقول في البعض الآخر.....26
5 ـ السَّلف ليسوا مؤوِّلة ولا مفوِّضة.....27
6 ـ كلٌّ من المشبِّهة والمعطِّلة جمعوا بين التمثيل والتعطيل.....28
7 ـ متكلِّمون يذمُّون علمَ الكلام ويُظهرون الحيرة والنَّدم.....30
8 ـ هل صحيح أنَّ أكثر المسلمين في هذا العصر

أشاعرة؟.....35
9 ـ عقيدة الأئمَّة الأربعة ومَن تفقَّه بمذاهبهم.....36
10 ـ التأليف في العقيدة على منهج السَّلف.....41
نصُّ مقدِّمة الرسالة.....44
نظم مقدّمة الرسالة للشيخ أحمد بن مشرَّف الأحسائي المالكي.....49
أوَّل الشَّرح:
إثبات ألوهية الله عزَّ وجلَّ ونفي أمور سبعة يتضمَّن نفيُها إثبات كمال الله.....55
بيان أنواع التوحيد الثلاثة وتعريفها.....56
بيان اشتمال سورة الفاتحة والناس على أنواع التوحيد الثلاثة.....57
النسبة بين أنواع التوحيد الثلاثة.....58
العمل المقبول عند الله ما كان خالصاً ومطابقاً للسُّنَّة 59
شرح الأمور السبعة المنفية التي ذكرها المصنِّف.....61
من أسماء الله الأول والآخر.....64
شرح ((لا يبلغ كُنه صفته الواصفون)).....65
شرح ((ولا يحيط بأمره المتفكِّرون)).....66
شرح ((يعتبر المتفكِّرون في آياته)).....67
شرح ((ولا يتفكَّرون في ماهية ذاته)) 68
علم الغيب لله، وغيرُه لا يعلم منه إلاَّ ما علَّمه إيَّاه.....69

من صفات الله العلو والقدرة والسَّمع والبصر.....72
إثبات علو الله على عرشه بذاته.....74
إثبات صفة العلم لله وإحاطته بكلِّ شيء.....76
إثبات صفة استواء الله على عرشه، والرد على من تأوَّله بالاستيلاء.....79
أسماء الله وصفاته من علم الغيب، فلا يتكلَّم فيها إلاَّ بالوحي.....82
أسماء الله كلُّها حسنى وهي مشتقَّة.....82
أسماء الله غير محصورة بعدد.....84
سرد تسعة وتسعين اسماً مع ذكر أدلّتها.....85
من أسماء الله ما يُطلق على غيره ومنها ما لا يُطلق إلاَّ عليه.....92
الله متَّصف بصفات ومُتَسَمٍّ بأسماء أزلاً وأبداً.....93
إثبات صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ وبيان أنَّه لا يتناهى.....94
الإيمان بالقدر وأدلَّته من الكتاب والسُّنَّة.....96
مراتب القدر: العلم والكتابة والإرادة والخلق والإيجاد 98
الإيمان بالقدر من الإيمان بالغيب ويُمكن معرفة المقدَّر بأمرين.....99
كلُّ ما هو كائن من خير وشر فبقضاء الله وقدره..... 100
مجيء الإرادة لمعنى كوني قدري ومعنى شرعي ديني 101

ما قدَّره الله وقضاه لا بدَّ من وقوعه.....
101
بيان معنى قول الله: [illegible]....
101
بيان معنى حديث: ((لا يرد القضاء إلاَّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاَّ البر)).....
102
لا يجوز الاحتجاج بالقدر على ترك مأمور ولا على فعل محظور.....
103
بيان معنى حديث محاجة آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام.....
103
أفعال العباد مخلوقة لله عزَّ وجلَّ، وتقع بمشيئتهم، والعبد مسيَّر مخيَّر.....
105
هداية المهتدين وضلال الضالِّين بقضاء الله وقدره.....
107
الفرق بين هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق.....
107
أعظم نعم الله على عباده إرسال الرسل وإنزال الكتب لهدايتهم.....

108
وجوب الإيمان برسل الله من قُصَّ علينا ومن لم يقصص
109
الفرق بين النَّبِيِّ والرسول.....
110
عموم رسالة نبيِّنا ﷺ، وأمَّتُه أمَّتان: أمَّة دعوة وأمَّة إجابة
111
علم قيام الساعة لله وحده.....
114
الساعةُ تُطلَق على الموت عند النفخ في الصور وعلى البعث.....
115
تقرير أمر البعث في القرآن يأتي ببيان ثلاثة أمور.....
116
البعثُ يكون بإعادة الأجساد التي كانت في الدنيا.....
118
من فضل الله مضاعفته للمؤمنين الحسنات.....
119
تكفير الكبائر بالتوبة منها، والفرقُ بين الصغيرة والكبيرة
120
تكفير الصغائر باجتناب الكبائر.....
122

من مات على كبيرة ولم يتب منها فأمرُه إلى الله.....
122
من عُذِّب بالنار من أهل الكبائر لا يُخلَّد فيها.....
123
الجنَّة والنَّارُ مخلوقتان موجودتان الآن، والردُّ على من قال: إنَّهما لا يُخلقان إلاَّ يوم
القيامة.....
125
الجنَّةُ والنّار لا تفنيان ولا تبيدان.....
127
المراد بالجنَّة التي أُهبط منها آدم عليه الصلاة والسلام
129
إثبات رؤية المؤمنين ربّهم في الدار الآخرة.....
129
إثباتُ صفة مجيء الله عزَّ وجلَّ لفصل القضاء بين العباد
131
عرض العباد على الله ومحاسبتهم على أعمالهم.....
132
إثبات وزن أعمال العباد.....
133
إثبات الصراط وعبور الخلق عليه.....
134

الإيمان بحوض نبيِّنا محمد ﷺ.....
136
بيان فساد مقالة أحد نوابت العصر أنَّ أكثر الصحابة يؤخذون
إلى النار.....137، 155،
187
الإيمانُ قولٌ واعتقادٌ وعمل.....
142
الذين قالوا: العمل غير داخل في مسمى الإيمان طائفتان
143
الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.....
143
الفرق بين الإسلام والإيمان.....
144
لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة ما لم يستحلَّه.....
145
حياة الشهداء ونعيمهم.....
146
وصول النعيم للمؤمنين والعذاب للكافرين في القبور.
146
إثبات فتنة القبر وسؤال المَلَكين فيه.....
147
الإيمان بالملائكة.....

149
من الملائكة الحفظة والكَتَبة الذين يكتبون الحسنات والسيِّئات.....
150
من الملائكة الموكَّلون بقبض الأرواح.....
151
بيان مَن هم أصحاب رسول الله ﷺ.....
153
فضائل الصحابة في الكتاب والسنَّة.....
155
أفضل الصحابة الخلفاء الراشدون.....
157
ثبوت الإجماع على عدالة الصحابة.....
158
الواجب على المسلمين لأصحاب رسول الله ﷺ.....
161
السَّمع والطاعة لولاة الأمر من العلماء والأمراء.....
167
الطرق التي تتمُّ بها ولاية الأمر.....
168
النصح لولاة الأمور.....
170

السمع والطاعة للولاة إنَّما يكون في المعروف.....
173
الدعاء لولاة الأمور وعدم الدعاء عليهم.....
175
اتِّباع السَّلف واقتفاء آثارهم.....
179
ترك المراء والجدال في الدِّين.....
182
ترك البدع ومحدثات الأمور.....
184

* * *